
محسن دلول
أميركا
الإمبراطورية المضطربة
هل يصلح أوباما
ما أفسده بوش؟
إعداد وتحقيق:
يوسف مرتضى
الفارابي
الفارابي

... إن مذهب المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأميركية هو نتاج فكر ليو شتراوس (1899 – 1973) العالم اليهودي الذي فرّ من المانيا ودرّس علم السياسة في جامعة شيكاغو وكان يؤيد بصورة كاملة منهج ميكيافيللي في الحكم. من مقولاته: «إن على الزعيم أن يخدع باستمرار من يحكم... وأن القادة لا يحكمون في إطار نظام أخلاقي شامل....». وكان يروّج لفكرته القائلة بوجوب أن يتمتع الأعلى بحق مطلق في حكم الأدنى.... كما كان يدعو إلى كبت العلمانية في المجتمع لأنها ترتكز إلى التفكير النقدي ومنطق المعارضة... ويؤكد على قناعته بأن الدين هو القوة التي تشدّ أزر المجتمع... وبالتالي فهو الأداة التي يستطيع بواسطتها الحاكم التلاعب بالجماهير، ويدعي بأن (أي دين ينفع لهذه الغاية). ويؤكد ليو شتراوس على نظريته، بأنه لا يمكن لأي نظام سياسي أن يستقر، إلا إذا توحّد ضد تهديدها. ويذهب إلى حد القول بأنه إذا لم يكن هناك من تهديد خارجي فيجب على قادة النظام اختلاق هذا التهديد.

إن المحافظين الجدد الذي كان يدعمهم تشيني، ويقوّي من نفوذهم رامسفيلد، ويقودهم المستشار الخارجي ريتشارد بيرل ونائب وزير الدفاع بول ولفوفيتز قد جاؤوا ومعهم أجندة جاهزة لعالم ما بعد 11 ايلول، فضغطوا باتجاه حرب استباقية على العراق، وفي سبيل شرق اوسط جديد بقوة الحديد والنار.


ISBN 978-9953-71-416-5

أميركا

الأمبراطورية المضطربة

محسن دلول

أميركا
الأمبراطورية المضطربة

هل يصلح أوباما ما أفسده بوش؟

إعداد وتحقيق: يوسف مرتضى

دار الفارابي

الكتاب: أميركا الأمبراطورية المضطربة
المؤلف: محسن دلول
إعداد وتحقيق: يوسف مرتضى
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2009
ISBN: 978-9953-71-416-5

المحتويات

إهداء

إلى زوجتي الحبيبة ورفيقة دربي سهام
إلى أولادي الأعزاء: نزار، علي، زياد، رولا
وإلى كل فرد من أفراد عائلاتهم
مع خالص محبتي ومودتي.

مقدمة

في البداية... كانت مجرد فكرة أن نتحدث عن الولايات المتحدة... لا بل هذه الرغبة كانت ضعيفة ثم ما لبثت أن قويت على ضوء ما يحصل من تطورات على كافة ساحات الشرق الأوسط... وفي الولايات المتحدة نفسها وفي العالم عموماً.

نعم كنت حائراً حتى اللحظة الأخيرة بين إقدام وإحجام بين طغيان الإرادة وجموح الرغبة، بين الإدراك بأن الواجب يفرض علينا أن نلقي ما لدينا من إشعاعات لتبديد ظلمات تنتشر وتتمدد بفعل محاذير الخطيئة الكبرى....

إن للفكر مهنة في الحياة السياسية، وإن للثقافة دوراً في بلورة الحقائق وتقديمها للرأي العام.

من هنا تولدت لدي القناعة بأن مهمة السياسة في العصور الحديثة، هي في أن تحول دون حصول الكوارث، وأن تربط الصلة بين الواقع والمحتمل وبين الإرادة و التاريخ.

والحقيقة التي أصبحت ماثلة أمامنا بدون حجاب،

هي أن الولايات المتحدة تحولت أو هكذا هي سعت إلى أن تكون أمبراطورية في القرن الواحد والعشرين. . !؟

ودليلنا أنها تصرفت بهذا المنطق وهي لا تزال تمارس الأساليب نفسها التي تدلل عليها مفاعيل السياسة الأمبراطورية التي قرأنا عنها في التاريخ الغابر.

هذا ما يجعلنا نعود إلى التاريخ ليس لكي نتمسك به وإنما لكي نعرف عنه. ومع السياسة الأميركية نرى أن المؤدى العملي لهذا المنطق هو التنازل مقدماً ليس عن التاريخ فحسب وإنما عن الحقيقة كذلك. أو هكذا يفترض بنا مع سياسة واشنطن، حيث بالقوة علينا أن نسقط من حسابنا عامل القانون وعامل العدالة أيضاً.

وهنا لا بد من إدراج ملاحظة أساسية، هي أن الولايات المتحدة الأميركية لا ينطبق عليها منطق نشؤ الأمبراطوريات المتعارف عليه تاريخياً، وهذا لا يعني أنها قد تنجو من منطق سقوطها أو زوالها. .

مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة لا تتصف بمفهوم الوطن وإنما هي أقرب إلى واقع الموطن، لأنها نشأت مهجراً وملاذاً لعيّنات متناقضة ومتعارضة سياسياً وثقافياً من بني البشر. وهكذا وجد هؤلاء الذين فروا أو نزحوا من بلدانهم الأصلية بلاداً جديدة أسموها العالم الجديد، فبدؤا بتفكير جهنمي للقضاء على السكان الأصليين (الهنود الحمر)، واستقدموا من أجل ذلك كل ما

يلزمهم من عناصر القوة والقهر والقتل لتحقيق حلمهم هذا. وراحوا يقاتلون من أجل الاستيلاء على أراضٍ يدركون أنها غنية أو أنها ضرورية لمشاريعهم التوسعية.

إن الولايات المتحدة الأميركية قد أسسها أُناس آمنوا بأن لكل فرد الحق في التصرف بحياته الشخصية. وأن القوة هي المنطق الأهم لتأمين المصالح.

وقالوا إن ما حققناه هو لكل الناس... ولكن في الواقع كان ضد كل الناس... ولكن ما يدعو للإستغراب أنهم تخاصموا وتحالفوا في الوقت عينه مع كل الناس...

ومع التوسع القسري، والقضم الرضائي، قامت الولايات المتحدة... وتحولت في الواقع إلى أمبراطورية تعرف كيف تأخذ ولا تعرف كيف تعطي... تعرف كيف تتحالف ولا تعرف كيف تحترم تحالفاتها..

... تأخذ بدون حساب وممنوع معها الإشارة إلى إضافة ما... لأنها هي القوة الفاعلة وحقها مطلق!... إن هي اضطرت إلى أن تعطي لسبب ما فإنها تعمد إلى احتساب الفوائد مركبة. الحسابات الأميركية دائماً لها قواعدها السياسية والاقتصادية، والمالية، ولكنها ترفض الاهتمام بالاعتبارات القانونية والأخلاقية لأية عملية من هذه التعاملات...

. . . إنها دائماً مع أرباحها. . . مع مصالحها. . . وتنطلق من مفاهيم خاصة لا صلة لها بالمبادئ والأخلاق. . . عقيدتها الأساسية أن العظمة تزداد مع الإنتصارات، وأن التوسع يجني الأرباح. . . وأن التراجع لا يحصد سوى الخسائر. . ولسان حالها يقول: إن النجاح هو الذي يستحق التعزيز في حين أن الخسارة تستوجب الإنسحاب دون إعتبار لكبرياء أو كرامة. . .

والشيء الذي يصرّون عليه باستمرار هو أن تكون كلمتهم هي المسموعة والنافذة ولو انطلقت من باطل أو أدت إلى كارثة. . . وهم لا يفهمون إلا لغة إذعان الآخر لمصالحهم ونيل رضاهم حتى وإن اضطروا من أجل ذلك إلى تسخير قوتهم وثروتهم، بحيث تكون جميع إمكانياتهم في خدمة أي قرار أميركي بلا تردد، وبلا مساءلة. . بلا معارضة مهما كانت خجولة.

ولكن إلى متى ستبقى الولايات المتحدة تتجاهل حقيقة أنه وتبعاً للعدالة الآلهية والعدالة البشرية: الحق يدحض الباطل و يتبرأ منه مع مرور الوقت و العدل يسحق الظلم ويقضي عليه في نهاية المطاف.

في اعتقادنا أن الأمبراطوريات تكابر ثم تكابر، غير أنها وإن وصلت إلى أعلى القمم، فهي ستكتشف أن البقاء في الذروة يصبح فادح التكاليف، عندها تبدأ حتمية الهبوط، حتمية العودة إلى الأصول، حتمية التراجع

والتفكك.. وليس من داعٍ في هذا المسار إلى أن تقوم قوة أقدر من قوة هذه الأمبراطورية لكي تنال منها..

لقد علّمنا التاريخ أن الأمبراطوريات الكبرى أحياناً لا يهزمها خصومها في مواجهات عسكرية مباشرة، وإنما تتولى هي هزيمة نفسها بنفسها.. وخاصة عند إفراطها في إستخدام القوة وعندما يبلغ الغرور عندها حدّ الغطرسة أو عندما يسكنها الاعتقاد أنه يستحيل النيل منها.... أو أنها هي صوت السماء على الأرض... وعندما تعجز عن مسايرة المتغيرات التي تواجه العالم كما تعجز عن مواكبة التطور فتجنح إلى الاعتقاد بأن قدراتها هي الغالبة إلى الأبد....عندها تبدأ مرحلة التداعي والسقوط.

من الطبيعي الاعتقاد بأن القوة هي الحلم الأول والأخير في بقاء الأمبراطوريات أو زوالها ولكن منطق التطور هو أساس البقاء وخاصة عندما يلتزم بمفهوم التقدم. فمن لا يتقدم ولا يتطور يتجمد مكانه.. والجمود هو الفناء..

وماذا تفعل الولايات المتحدة؟.. إنها القوة العظمى وقوتها هي في خدمة المصلحة الأميركية ليس إلا... وإن كان يلزمها أحياناً أو دائماً غطاءً قانونياً أو غطاءً أخلاقياً لممارساتها السياسية...

وما أكثر التذرعات: حقوق الإنسان... الديموقراطية.. محاربة الإرهاب.. الضربات

الإستباقية. . . الأسلحة الفتاكة لدى الآخرين. . والمفاهيم مهما كانت واضحة وظاهرة تتغير وتتبدل إزاء المصالح الأميركية. الأمم المتحدة تكون ناجحة برأيها ومفيدة ما دامت في خدمة الولايات المتحدة الأميركية وتصبح فاشلة ومسيئة إذا ما تعارضت مع المصلحة الأميركية.

تريدها شرعية لها فقط وتعارض إذا ما كانت شرعية الأمم المتحدة هي مسؤولية مشتركة بين دول العالم. . وهكذا نرى أن الأمبراطورية الأميركية التي استعانت بالقوة في حالة الصعود تلجأ في إتقاء السقوط إلى المقاومة بالعنف والنار.

وهذا ما جعل نهرو يقول بأسف: "مشكلتنا أنه إذا فازت وكالة المخابرات المركزية الأميركية أصبحت حريتنا مهددة، وإذا فازت هوليوود تصبح ثقافتنا مهددة. . ."

فالنظام أو القائمين عليه في الولايات المتحدة يعتبرون أن عبادتهم هي حيث توجد مصالحهم، وهذا اعتقاد غير حكيم.

وكم تأخذنا الدهشة عندما نرى الجنوح الفاضح للولايات المتحدة في استعمال القوة وممارسة العنف، وكأنه فاتها معادلة المنطق القائل: أنه لتوافر أسباب أو دوافع الحرب لا بد من توافرعناصر مبدئية لخوضها، ومؤدّاها هو في أن يكون لدى شعب ما أو أمة أو

أمبراطورية تدخل إلى الحرب هدف مطلوب تحقيقه سياسياً وممكن عملياً وجائز قانونياً ومبرر أخلاقياً.

إن مصيبة السياسة الأميركية، أنها تعاني من عقدة التاريخ... عقدة التراث، عقدة الفكر والثقافة.. من هنا قد تحسن أحياناً تنفيذ بعض السياسات لكنها بسبب هذه العقد لا تُحسن صنع الأفكار القادرة على رسم هذه السياسات.

النظرة الأميركية للعالم أحادية... وهي غير مكترثة بأن يشاركها أحد في نظرتها المتعالية هذه... العالم لها... كله لها... إنه حقها، ليس فيه حياء وإنه قدر أميركي لا يجوز التردد بالموافقة عليه...

ولماذا الإستغراب؟. فإن كل المنطق الأمبراطوري يستند إلى طبقة جشعة المصالح، فاحشة الثراء، القوة سلاحها وهي تشعر أن إزدهارها لا يتهدده فعلياً إلا سيادة الديموقراطية بمعناها الصحيح.

تطالب العالم كل العالم أن يعلن الولاء المطلق لها... ومن أهم أهدافها أن يغرق الآخرون في الضياع، وأن يتحطم اليقين لدى الجميع، وأن ينتهي بالتالي الحلم والأمل في المستقبل... وأن ترفع الرايات البيض لها كدليل ليس فقط على قبول الآخرين بالهزيمة العسكرية وإنما على قبول الهزيمة المعنوية بالذات..

وسقط من بال الولايات المتحدة أن العلاقات الدولية

لا تُبنى على مجموعة من الكلمات المصقولة والوعود الكاذبة والأحلام، أوعلى منطق القوة... إن مثل هذه العلاقات إنما تقوم بالدرجة الأولى على توازن القوى وعلى المنافع المتبادلة وعلى التعاون من أجل الوصول إلى صيغة تخدم أطراف هذه العلاقات...

أليس مستغرباً أن نرى رئيس الولايات المتحدة الأميركية القوة العظمى والأمبراطورية الوحيدة في العالم ينطلق في رسم سياسته من خلال أقاويل يرددها على مسمعه عدد من المحافظين المتزمتين الذين يحيطون به؟

أليس مستغرباً أن يطالعنا الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن بتصريحات مفادها: أن من يخالف قراراته إنما ينقض بذلك التكليف الآلهي الذي حصل عليه من الرب، وهو الذي كان يصرح دون تردد عن وجود إتصال مباشر بينه وبين الله عز جلاله!!

فقط عندما أدركت بعض وسائل الإعلام الأميركية أن الحرب ضد العراق قد شُنت بدون تفكير معمق وعبر قرارات طائشة ومستهترة من قبل إدارة الولايات المتحدة... سارعت صحيفة نيويورك تايمز، وكذلك صحيفة واشنطن بوست إلى الإعتذار من قرائهما بسبب تأييد كل من الصحيفتين للحرب ضد العراق وبشكل مخالف للعدالة والواقع والحقيقة لأنها حرب كما ذكرنا لم يكن لها أي مبرر.

وليس بخافٍ على أحد أن المسؤولين في الإدارة الأميركية قد تعاملوا مع بعض الفرضيات على أنها حقائق... وفي مقدمة هؤلاء جورج بوش الإبن الذي أضحى سجيناً لنهجه السياسي، ويتعامل مع ما يعتبره إيحاءات إلهية وكأنها حقائق مطلقة.

فما هو مآل وصيرورة الولايات المتحدة الأميركية، تلك الأمبراطورية المضطربة اليوم، وما هي مفاعيل السياسات المتراكمة للإدارات الأميركية المتعاقبة خاصة منها إدارة المحافظين الجدد على مستقبل الولايات المتحدة نفسها وعلى العلاقات الدولية تالياً؟

هذا الكتاب يتضمن خلاصة قراءاتي ومتابعاتي للسياسة الأميركية واستنتاجاتي التي أعتقد أنها تقارب الإجابة الموضوعية على تلك التساؤلات. وهو ليس إعادة رواية للأحداث بصورة معينة، إنما هو قراءة متأنية في سياسة ودور وأبعاد الاستراتيجية الأميركية خاصة تلك التي رسمتها ونفذتها إدارة المحافظين الجدد، واستخلاص العبر والمفاهيم من جراء تداعيات تلك الاستراتيجية على الولايات المتحدة الأميركية نفسها وعلى مجمل العلاقات الدولية.

المؤلف

إدارة بوش الإبن
ولعبة اليهود للسيطرة على العالم

كم كانت وصية فرانكلين واقعية وحقيقية في ما نراه اليوم من سيطرة شاملة وكاملة لليهود على الولايات المتحدة. . .

لقد حاولت ولا تزال تحاول اليهودية التلمودية طمس المسيحية والقضاء عليها وخنقها منذ نشأتها وحتى يومنا هذا؟.

ألم نلاحظ كيف يفرض اليهود القيود في الولايات المتحدة على حرية وتفكير الآخرين بسبب السيطرة الواسعة التي يمارسونها على وسائل الإعلام التي يمتلكون القسم الأكبر منها؟

إن أحلام اليقظة الأميركية مفصلة على مقاس المصالح الإسرائيليةومن ثم اليهودية.

الذي نراه واضحاً، ماثلاً أمامنا هو أن الأميركيين يريدون نفطاً رخيصاً. والتمويل والشركات اليهودية هي التي تتلاعب بمصير ومستقبل هذه السلعة الحيوية. أما ما

يصيب العالم من مشكلات فهم يريدون أن يسمعوا عنها أقل ما يمكن سماعه...

لقد ثُبت أن كل ما رسموه من خطط قد جاء وليد حسابات مفرطة في الخطأ ومرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالمصالح الضيقة للرأسمال اليهودي. لهذا كانت لها العواقب الكارثية على كل المعنيين.

إنها دولة وبفعل عجرفتها وتبريراتها تجمدت فيها كل المعاني الإنسانية وبالذات القيم السمحة للدين، وباتت مجتمعاً متحجراً..

النظام الأميركي تركيبته ومساره خطيرين حتى في حالة توجهاته بالدعوة إلى إخماد النيران.. في هذه الحالة أيضاً، علينا حتماً تجنب إنبعاث الكثير من الدخان وأحياناً بقايا الحرائق..

إن كل رئيس أميركي تفتنه وتسحره القدرة على امتلاكه بمفرده مثل هذه السلطات الخاصة وقدرته على الوصول إلى معلومات لا يصل إليها أحد غيره.. وثمة إغراء خاص للاضطلاع بمهمة رجل الدولة العالمي وبخاصة رجل الدولة العالمي الأول..

كثيرون من قادة رأي وطلاب حرية في العالم تمكنوا من إشعال الحيوية في أكثر من موطن أرضي وبالذات في البلدان المقموعة عسكرياً وسياسياً من قبل الولايات المتحدة كما تمكنوا من كشف خواء التلقين الأميركي

الذي استمر ردحاً من الزمن. ولم تعد تنطلي على أحد المزاعم بأنهم رواد الحرية والديموقراطية..

واليوم نحن إزاء يقظة سياسية عالمية في نطاقها الجغرافي وشاملة في نطاقها الاجتماعي وشابة في خصائصها الديموغرافية وفي مصادر إلهامها بسبب التأثير التراكمي للتعليم ووسائل الاتصالات الجماهيرية.. حتى المجتمعات النائية التي كانت باستمرار معزولة عن حركات اليقظة تحولت اليوم إلى منابر حية بسبب تطور الاتصالات..

... الجميع يرون الأمور بالصورة والصوت... بالإحساس والعقل... يرون الأشياء كما هي بتناقضاتها وتطابقاتها، بتباعدها وتقاربها... وغني عن القول إنه في الماضي كانت القدرة على السيطرة تفوق القدرة على التهديم... حيث كان الجهد المبذول والكلفة المتكبدة لحكم مليون نسمة أقل مما يلزم من جهود وكلفة لقتل مليون نسمة.. أما اليوم فالعكس هو الصحيح إذ إن القدرة على التدمير تفوق القدرة على السيطرة وأصبحت وسائل التدمير أكثر فاعلية سواء كان ذلك لدى الدول أم لدى الحركات السياسية.

وهذا ما يستوجب أن يلازم القيادة العالمية في وقتنا الحاضر وعي إجتماعي واستعداد للتسوية فيما يتعلق ببعض جوانب السيادة الذاتية والجاذبية الثقافية التي تجنح إلى

الميل نحو مزيد من المنعة والاحترام الحقيقي لتنوع التقاليد والقيم الإنسانية.

إذا ما تابعنا ما يلوح في الأفق من متغيرات نرى بروز ملامح تقسيم جديد للقوى في العالم ثلاثي الأطراف يتكون من الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي وشرقي آسيا فيما تفضل الهند وروسيا والبرازيل وربما اليابان التصرف كدول متأرجحة وفقاً لمصالحها القومية، وربما يغري هذا الحلف الصين للإنضمام إليه. الفريق الثالث في هذه المعادلة هي الدول التي بدأت تتحسس مخاطر النهج الأميركي ليس فقط عليها وإنما على ما تشكله من تهديد للإستقرار العالمي.

إن الولايات المتحدة تؤكد مرة بعد أخرى بأن أعمالها هي كمن يجلس على طرف فرع شجرة ويتابع في الحفر لقطع جذروها!؟.

إن أهم مشاكل الولايات المتحدة هي في ازدياد الرغبة لدى قياداتها إلى الهروب من الحقائق التي تثور في نفوسهم في كل لحظة ينكشف فيه الغطاء أكثر فأكثرعن الوقائع الموجودة في العالم، فيلجأون إلى المكابرة وإلى تصوير الانكسارات انتصارات وإنجازات...

وإنهم وبسبب النشوة التي تغمرهم لم يعودوا يميزون بين الرأس والقدم.

.... وهكذا وجدت الولايات المتحدة نفسها كمن

يقع في بئر لا قعر له أو في متاهات معتمة لا نهاية لها.. وتسير في درب لا امتداد له..

وكلنا يعلم بأن عقيدة الآباء المؤسسين للديموقراطية الأميركية تؤمن بأن من يملك أصول البلد عليه أن يحكمها.

ولماذا الدهشة والإستغراب من السياسات التي تنتهجها الولايات المتحدة؟

فلنتصفح إقتراحات صمويل هانتغتون عندها نقف على الكثير من الحقائق. إذ يتقدم بمشروع يضم كما أسماه عناصر استراتيجية أميركا للحقبة الجديدة وهي:

1- ضم دول أوروبا الوسطى إلى الإتحاد الأوروبي وحلف الناتو

2- تقريب دول أميركا اللاتينية.

3- الحد من تطوير القدرة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للبلدان الإسلامية.

4- جذب اليابان للغرب بعيداً عن الصين.

5- قبول روسيا كدولة محورية للعالم الأرثوذكسي وكقوة إقليمية كبرى.

6- الحفاظ على التفوق التكنولوجي والعسكري للحضارة الغربية على الحضارات الأخرى.

وهذا ما يفسر لنا الهيجان الغربي بشكل عام والأميركي بشكل خاص بالنسبة للملف النووي الإيراني...

وهكذا نلاحظ التركيز الأساسي على الشرق الأوسط والإسلام العالمي باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيسي للمصالح الأميركية في الخارج.

والسياسة الحذرة لا بل المعادية للبلدان الفقيرة نتلمسها في ميدان الزراعة، إذ أنه وفي الوقت الذي تقوم فيه الدولة في أميركا والدول الغنية الأخرى بالتخطيط لإنتاجها الزراعي وفقاً لمصالحها وتوجهاتها الاقتصادية، بما في ذلك دعم الزراعة في بلدانها بمليارات الدولارات، فإنها تفرض على البلدان الفقيرة رفع يد الدولة بشكل كامل عن العملية الزراعية في كافة مراحلها..

دأبهم في الولايات المتحدة، العمل الجاد على تغيير مرحلة القطب الواحد في التسعينات إلى عصر القطب الواحد في القرن الواحد والعشرين..

وهذا ما تسعى إليه الإدارة الأميركية بكل الوسائل السياسية والعسكرية مع إداركها الكامل بأن الحرب هي موقف سياسي واجتماعي وليست موقفاً عسكرياً. إن الحرب هي بمثابة هزة أرضية في العلاقات الإنسانية.

إن النظام الأميركي قائم بلا شك على مرتكزات هامة، ويصدق فيه القول بأنه نظام قد صممه عباقرة ويديره موتورون وأغبياء.

وهكذا نرى أن الحقائق الساطعة تمر وإن كانت مزعجة دون الإخبار عنها. وبعد كثير من الإخفاقات المدوية، وفي تعاقب سريع بحيث لم يمض وقت قصير من الزمن إلا وكانت الولايات المتحدة قد فقدت مع رئيسها جورج بوش الأبن مكانتها ومنزلتها في البلاد... وكذلك إحترامها وهيبتها في العالم...

إن الواعين والصادقين والمخلصين في الولايات المتحدة الأميركية يتفرجون على ما يجري ونفوسهم مثقلة بالإحباط.

أين تقع من كل هذا علاقة واشنطن بلندن؟.

لقد أدى امتزاج الولادة المسيحية المتجددة للرئيس الأميركي جورج بوش الإبن بتصريحات رئيس وزراء بريطانيا السابق طوني بلير الكنسية... والخليط الغريب "لفضيلة" بلير وسفسطاته القانونية إلى إنتاج واحدة من أغرب التحالفات في عصرنا....

إنها تحالفات قد دمرت كل الفكر وكل المعرفة... وأتت على كل معاني الصدق والنزاهة.

إن مثل هذه التحليقات في سماء التملق الذاتي التي مارسها بلير مع واشنطن ربما لا نجد لها مثيلاً في التاريخ.

إنه تدويل للكذب... تدويل لممارسة الخداع والغش على نطاق واسع.

...وتبقى صيحاتنا تتعالى ويتردد صداها ويعلو صوتها فوق الإنسانية والإنسان والعطاء والمحبة والتآلف والوئام لتحل مكانها موروثات الحلف الشيطاني الأميركي -البريطاني، وما يحمل من لؤم وقتل وسفك للدماء، وهتك للأعراض، وتحقير للإنسان الذي كرّمه الله وأهانه أخوه الإنسان.

ولا حولة ولا قوة إلا بالله!.

تنبؤات بوش الإنجيلية: إلى أين؟

إن المحافظين الجدد وكذلك المسيحيين المتصهينين... ينطلقون من أجل تحقيق أهدافهم ومراميهم من إعتبار أنهم يمتلكون أكبر قوة عسكرية يستطيعون إستخدامها ساعة يرون ذلك موجباً.

يلجأون إلى المراوغة وهدفهم الأول والأساسي التفرد بإدارة العالم... لا بل الهيمنة على جميع أنحاء العالم، وتدمير أية جهة مناهضة لهم أينما وجدت.

يعتبر هؤلاء أن رسالة مقدسة قد أنيطت بهم من أجل إقامة نظام عالمي تسوده مبادأهم ويترنح تحت مقومات قيمهم..

إن ما يجمع المحافظين الجدد وباقي حلفائهم هي أهداف وتطلعات وقيم مشتركة نستطيع تلخصيها بالآتي:

1- تركيز أساسي على الشرق الأوسط والإسلام باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيسي للمصالح الأميركية في الخارج.

2- إخضاع العالم بأسره إلى ثقافة واحدة تنطلق من الثقافة الأميركية..

3- السيطرة الكاملة على ثروات العرب وبالذات على

مصادرالطاقة، كي تتمكن الولايات المتحدة الأميركية من خلال السيطرة على المنطقة العربية إخضاع العالم كل العالم وبالذات الدول الغربية إلى مشيئتها.

4- إيمان ينطلق من معتقدات دينية قوامها أن الرب قد اصطفاهم لمثل هذه المهمات وبأن الوضع الإنساني يعرّف بالنسبة إليهم بأنه اختيار بين الخير والشر كما هم يحددونه. وأن المقياس الحقيقي للموقف السياسي لأي جهة بالنسبة إليهم هو في مدى استعدادها إلتزام خيار الخيرين في مواجهة الأشرار... إن الولايات المتحدة الأميركية وفق هذا المقياس هي "منبع الخير" وكل من يعاديها هو في مصاف الأشرار!!

5- التأكيد على أن المحدد الجوهري للعلاقة بين الدول هو القوة العسكرية والرغبة في استخدامها...

وفات هؤلاء أي "المحافظون الجدد" أن الحرب التي يستخدمونها ويلوحون دائماً باستخدامها... إنما كانت أداة الصراع الأساسية من أجل الدفاع عن الوجود في مرحلة معينة من التاريخ....

إن الولايات المتحدة الأميركية وبتأثير من المسيحيين المتصهينين أضحت تعارض التعددية الثقافية وتكاد إن لم تكن قد أقتربت من الفاشية.

وهناك ثمة كتابات لعدد من المفكرين الأميركيين قد

أخذت على عاتقها التنديد بالتنوع وتدعوا إلى محاربة التعددية الثقافية.

إذا ما راجعنا ما أنتجته تجربة 200 سنة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والتناقضات الفلسفية التي أدت إلى تعميم مفاهيم عالمية عن الولايات المتحدة الأميركية نجد أنها تختلف اختلافاً كبيراً في بعض النواحي عن كيفية إدراك الأميركيين لأنفسهم.

وغني عن الإشارة في هذا المجال، أن بريطانيا الاستعمارية كانت قد قدمت النموذج المختلف لا بل النقيض الفعلي لأميركا الحديثة، حيث جعلت من الأرستقراطية ووجود الرأي المختلف عند الآخر وإعتناق حريات معينة والمطالبة بالمساواة مثالاً ثقافياً خاصاً بالمستعمرات..

هكذا وبينما نحن نواكب مساهمات تنموية وثقافية للإستعمار الأوروبي القديم في بعض المستعمرات القديمة، نجد أن الولايات المتحدة الأميركية تصرّ على محاولة فرض سيطرتها وثقافتها وهيمنتها على العالم...

وبينما سمحت أوروبا والحركات اليسارية فيها بتنقية نفسها من كافة الإخفاقات الأخلاقية والأخطاء الأيديولوجية... نرى أن الولايات المتحدة وبتأثير من

المحافظين الجدد تلملم بقايا الإرث الأمبراطوري الأوروبي لتضعه على رأسها ضاربة بعرض الحائط بمشروعية القيم والمصالح الإنسانية ومندفعة إلى استهداف أكثر من بقعة في العالم بهدف السيطرة والهيمنة عليها.

إن الولايات المتحدة تتسلق يا للهول على غصن شجرة رخص يوشك أن ينكسر.

لماذا؟.

لأن المحافظين الجدد يعتقدون أن عصرنا الذي نعيش فيه قد يكون عصر الخوارق والأعاجيب التي يؤمنون بها ويرفضون ولو مناقشتها بدافع التفتيش عن الحقيقة أو الواقع الذي يفترضه المنطق.

وفي اعتقادي أن أحداث 11/ 9/ 2000 لم تأتِ من فراغ بل هي وقعت من ضمن مخططات النظام العالمي الجديد بزعامة واشنطن. وإذا كان هذا النظام غير قادر على تفسير كل شيء إلا أنه قادر على ربط أكثر من حدث في أكثر من مكان في العالم وفي أوقات مختلفة لتحقيق الأهداف الأميركية بالهيمنة على العالم...

إن الهيمنة الأميركية تتوخى الإندماج القسري للأسواق ونظم النقل ونظم الاتصالات بطريقة تمكن واشنطن من فرض مشيئتها على الجميع. وهكذا عمل المحافظون الجدد على دفع الأمور إلى التأزم واستخدام ذلك لتهيئة

المناخ الدولي لإتخاذ الموقف الحاسم بقرار إجتياح العراق.

ولم يفكر هؤلاء على ما يبدو أوهكذا كما دلت عليه الأحداث لاحقاً ماذا بعد الإجتياح العسكري للعراق؟.

سرّحوا أفراد الجيش العراقي تلبية لرغبة إسرائيل... وجاؤوا بمن يعتقدون حسب نصوص معتقداتهم الدينية أنه الأصلح لحكم العراق وفرض ثقافتهم على المجتمع العراقي غير آبهين بالتاريخ ودروسه!؟.

تحول العراق تحت أنظارهم إلى مغناطيس يجتذب الجهاديين الأجانب، ويوفر مرتعاً خصباً جديداً لعناصر القاعدة والمتشردين الإسلاميين.

كثيرون قدموا إلى العراق لمحاربة الأميركيين ووجدوا أنفسهم في مواقع مميزة تخدم تطلعاتهم العقائدية والسياسية، وكيف لا وهم قد تمرسوا الكفاح وصلّبت عودهم المعارك.

وكم كان هؤلاء الإستشهاديون يتألمون فيغطاظون من وقاحة الولايات المتحدة الأميركية التي جاءت إليهم وإلى أبنائهم بكتب مدرسية تريد فرض مناهج تعليمية على الطلاب العراقيين مشبعة بمقولات المحافظين الجدد في الثقافة والدين والإجتماع...

وكم كان المحافظون الجدد متلهفين إلى أن يكونوا

حكاماً أوحدين في العراق... ثم ينطلقون منه إلى البلدان المجاورة...

وإذا ما تصفحنا سجل الأحداث منذ بداية الإجتياح الأميركي للعراق نلاحظ أن المسؤولين الأميركيين كانوا يزدادون إرتياباً يوماً بعد يوم بما يمكن أن يضمره حسب ظنهم الطاقم السياسي العراقي من نوايا ضدهم.

وهكذا وبعد كثير من الإخفاقات المدوّية وفي تعاقب سريع للأحداث، حيث لم يمضِ وقت طويل على عملية الغزو إلا وكانوا قد فقدوا مع رئيسهم مكانتهم ومنزلتهم في العراق وحتى في العالم بأسره.

وفي الواقع إن الواعين والصادقين والمخلصين من السياسيين والمراقبين الأميركيين راحوا ينظرون إلى ما يجري ونفوسهم مثقلة بالإحباط حيث إن العراق الذي كان حبة العقد الماسية في أجندة المحافظين الجدد قد استحال إلى مقبرة لحظوظهم السياسية.

إنها الحقيقة: من فرط القوة طار العقل، وإن أنماطاً وقيماً قد تآكلت مع هذه الإدارة المحافظة...

وبضوء ذلك صار يحق لنا أن نتحدث عن خطيئة الغرور... وعن إنحراف المسار نحو المعتقدات البالية...

صحيح أنهم أحاطوا بالرئيس جورج دابليو بوش، غير

إنهم تمكنوا من أن يعزلوه وأن يوجهوا عقله بالوجهة التي يريدونها.

ولماذا هنا لا نتوقف عند هذه المقولة الهامة والأساسية: إن الحروب تولّد الزعماء ولكنها تصفيهم أيضاً. الأمر منوط بامتحان النتيجة!؟.

إن فجوة كبيرة وغير مريحة تفصل بين التوقعات والقيود التي يدركها صنّاع القرار وبين التطلعات الواقعية لدى الجمهور..

وكم يبدوا الواقع ضاغطاً للإلتفات إلى الماضي لكي نفهم الحاضر. وليت العالم لم يذهب إلى الحرب في العام 1914، وليت القوى العظمى لم تكن مبالغة في أنانياتها عند توقيع معاهدة السلام.

إن التأثير الملعون للتاريخ ودورنا في إدارته ونقله السلبي ينبغي هو أيضاً دفنه مع الإنتحاريين.

كم كان محقاً روبرت فيسك عندما كتب: "من أية زاوية حاولنا مقاربة ذلك الشعور العربي بالأذلال سواء اعتبرناه نوعاً من الشفقة على الذات أم رداً مبرراً كلياً على الظلم فإنه يبقى مع ذلك حقيقياً... "

بوش:
"رئيس عاجز... وسياسة فاشلة"

. . . . وأخيراً إنكشفت أخطاء الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن. . . وتبدّى عجزه في معالجة حتى الأمور الصغيرة. لقد تورط في مواقف صعبة وورط الولايات المتحدة في معارك لا جدوى منها. . . كما ورط العالم في حروب عبثية. . .

لقد حاول الرئيس بوش صياغة السياسة دون إمتلاكه لنظرة شاملة. . . ودون أن يعي لا هو ولا أعوانه أنه يتوجب على المسؤول أن يستوعب الحقائق غير المألوفة وأن يوازن الإدعاءات المعقدة والمتزاحمة في سياق واضح ويتخذ القرار السليم. . . لا أن يرتجل المواقف وينفعل مع التقارير الكاذبة. . . ويذهب بعيداً إنطلاقاً من ترهات لا تخرج عن كونها أكاذيب الماضي السحيق. . .

إن الرئيس الأميركي الذي لا يستطيع تقويم ما هو ضروري للتغلب على المصاعب، قد أوقع نفسه وبلاده والعالم في التهلكة.

وكم غاظنا ومعنا العالم كذلك، عندما كان يتباهى

الرئيس بوش بإنتصاره العسكرى في أكثر من مكان في العالم ويذكرمن بينها العراق وأفغانستان. ولكن فاته أن هذا النجاح الناقص في حد ذاته جريمة لا تغتفر. وأن الحرب ليست معارك طائرات أو دبابات أو مدافع وإنما هي صدام إرادات... والحقيقة أن نتائج الحرب تبقى معلقة بالهدف السياسي الذي من أجله دارت المعارك... فإذا تحقق الهدف بعد توقف المعارك يكون القائم بالحرب قد انتصر وإذا كان العكس من ذلك فيكون هو المهزوم.

والجدير ذكره أن كل إنسان يستمد اعتباره من موقع فائدته لغيره ونسبته إليه وليس من قدراته العسكرية أو إمكانياته القتالية... وأن الدولة التي تنقصها العدالة والصدق لا تستطيع الإستمرار. ومهما كانت الحقيقة مرة لا بد من قولها، ولا بد من سماعها.. أما دفنها ووأدها فهو ليس في صالح أحد...

الحقيقة أن رئيس الولايات المتحدة، قد أثبت عجزه عن فهم الوقائع التي تنتشر عبر العالم... كما أثبت عجزه عن معالجة القضايا ليس فقط الشائكة وإنما حتى البسيطة التي تستوجب أيضاً إدراكاً ووعياً.

وبقليل من البحث والمشاهدة، نرى أن سياسة الولايات المتحدة، وبالذات عبر شخص رئيسها بوش، حولت عدداً من بلدان العالم إلى جنائز متتالية، ومآتم متعاقبة.

كما أن كبار معاونيه أضحوا من عدة نواحٍ سجناء معتقداتهم المبنية على سطحيات وتأويلات ذهنيةٍ رفضتها العصور الماضية وقطعت بعدم صوابيتها. وهكذا وبممارسة الرئيس جورج بوش الإبن فإن المنطقة التي كانت يوماً ما مهداً للحضارات تحمل اليوم في ثناياها إمكانية أن تكون مقبرة لها.

وفات الرئيس الأميركي ومن معه أنه لصناع السياسة الحق في أن تكون لديهم أراءهم الخاصة، ولكن لا وجود لوقائع خاصة بهم... لأن هذا يصبح تعدياً على الحقيقة والصواب... وأن الأخطاء القاتلة التي هزت وما تزال العالم، باتت تسمى مشروع القرن الأميركي الجديد.

وهذا ما جعل جورج تنيت رئيس المخابرات الأميركي السابق يقول: "أما علاقاتنا مع معظمٍ شعوب العالم فهي متوترة في أحسن الأحوال وغامضة في أسوائها... "

وعندما يتحدثون عن أهداف غزوهم لأكثر من بلد في العالم يبررون ذلك بأنه من أجل إقامة الديموقراطية حيث لا توجد وللدفاع عنها حيث هي موجودة. ولكن السؤال يبقى مطروحاً هل الولايات المتحدة حقاً تريد أو تميل إلى ممارسة الديموقراطية؟..

وكم انزعج الرئيس جورج بوش الإبن عندما سمع أحد المقربين منه ينصحه بضرورة إعطاء الأولوية للسياسة

على الخطط العسكرية وإلى الحوار بدلاً من فرض الهيمنة بكلفة مرتفعة... كأن مصائر الناس رخيصة بالنسبة للسياسة الأميركية. وفات الرئيس بوش الإبن أن ما يؤخذ بالحوار السليم والمُقِر بمصالح الآخر هو أكثر بكثير مما يأخذ بالحرب والقتال...

إنها صورة مأساوية، ولكنها الصورة كما هي في حدود ما عرفناه وما خبرناه. وما أتفه المنطق الأميركي القائل تسلح بالقوة تسيطر على الناس...

إنها سلطة مارقة... وحكام مارقون...

نحن كل يوم وبوعي وإدراك نتساءل ما إذا كان بات علينا أن نتخذ القرار في أن نمثل دور الطائرة الحربية والمدفع أو أن نكون السياج الواقي والدرع الحامي من نيرانهما؟....

وإذا ما أمعنا النظر ودققنا في النتائج يتبين لنا أن كل ما قامت به الولايات المتحدة عسكرياً قد عمل على تأجيج الصراع بدلاً من نزع فتيله. والواقع أن الناس يستحيل أن يقبلوا تغيير أفكارهم وعقائدهم بالعنف.

وهكذا بتنا نعيش مرحلة خائبة، حرب دائمة باسم التشدد الديني... عدم إكتراث متزايد إزاء اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية التي ينتج عنها باستمرار أعمال بربرية.

نتيجة لممارسات المتعصبين في الولايات المتحدة بتنا نسمع في أميركا نفسها وفي معظم أنحاء العالم أن قيم الإدارة الأميركية هي في تباعد مستمرمع قيم المواطنين في أغلب البلدان... وبالذات مع مثقفي أوروبا ومثقفي الولايات المتحدة...

إن سياسة الولايات المتحدة لا تتعامل مع الوقائع والأحداث كما هي وإنما تتعامل مع الفرضيات التي تسعى إلى إخضاعها لمصالحها... والثابت أن خيار إستخدام القوة في كل شاردة وواردة من شأنه أن يؤدي إلى ازدياد خطر الأعمال المخلة بالإنتظام العام... ويساعد إلى انتشار العنف بكل أبعاده... وهذا ما نراه واضحاً في معظم أنحاء العالم...

ووصلت التفاهة بالسياسة الأميركية إلى أنه وبسبب معارضة فرنسا لشن الحرب ضد العراق أن عمدت إلى تغيير إسم البطاطا المقلية، من البطاطا الفرنسية French Frees إلى بطاطا الحرية... هذه التسمية تم تطبيقها بالفعل في كافيتريا مجلس النواب الأميركي ثم ألغيت بعد مرور سنتين على تطبيقها...

وعندما تقرر الولايات المتحدة شن حرب أو فرض عقوبة ما فإن طواحين الدعاية التحريضية تبدأ بالدوران بكل طاقتها... حتى أن حلفاء الولايات المتحدة يقولون أن هذه الحرب ضد العراق شنت بدون تفكير معمق وعبر

إتخاذ قرارات طائشة ومستهترة من قبل المسؤولين في واشنطن.

وفي الواقع أن التحالف بين المحافظين الجدد والمجموعات الأصولية المسيحية كان له تأثير كبير في رسم ملامح السياسة الأميركية وتوجهات الرئيس الأميركي كذلك.

إن الأصوليين المسيحيين وتفسيراتهم الدينية النابعة من الكتاب المقدس - "العهد القديم"، في الولايات المتحدة تُظهر توجهات متشابهة بتلك التي يقول بها الصهاينة... ومن هذا المنطلق قام الجانبان بالإدعاء أنهما وحدهما يملكان الحقيقة المطلقة... وهذا الاعتقاد يقوّض بالفعل فرص التوصل إلى الحلول السليمة بشكل كبير.

... والذي عرفناه من خلال تصريحات الرئيس جورج بوش الإبن... ومن خلال أحاديثه المباشرة مع كبار المسؤولين في العالم قد زاد من شكوكنا لا بل جعلنا نتأكد من سؤ نواياه السياسية...

متى تدرك الولايات المتحدة أن عالمنا المعاصر قد أتعبته الحروب والأزمات أكثر من أي وقت مضى؟ وأن العيش بين الأنظمة التي تبرر الحروب ليس لصالح أحد؟.

وأن العالم أصبح بحاجة إلى نماذج جديدة من أجل سعادة الناس وحقوق الإنسان؟.

والآن بتنا نفهم القصد من وراء إصرار هنري كسنجر على أن الولايات المتحدة ليست بحاجة إلى وزارة للخارجية... نعم إنه يريد على ما يبدو أن يقول إن القوة الأميركية هي التي تفرض وترسم معالم السياسة الخارجية للولايات المتحدة وللعالم أجمع....!!

وهنا تحضرنا مقولة لمهاتما غاندي يقول فيها: "العين بالعين تفقد العالم بأكمله البصر"...

.... إن كثيرين من مؤيدي الغزو الأميركي للعراق منزعجون من الموضوعات الدينية التي ينطوي عليها خطاب الرئيس بوش الإبن وليس أقلها تأكيده أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفاه ليكون رئيساً...

وكم يدرك العالمون ببواطن الأمور المخاطر التي يشكلها القادة السياسيون الذين يرون أنفسهم وكلاء الله على الأرض. وكم كان السيد روبن كوك وزير خارجية بريطانيا محقاً عندما ذكر في خطاب إستقالته بأن التاريخ سيندهش من سؤ الحسابات الدبلوماسية التي حدثت في أعقاب 11/ 9/ 2000 وقبل غزو العراق.

والشيء الغريب هو في مفهوم الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن للحرية، إذ يرى بأنها شيء تصوغه الحكومة أو شيء تفرضه الحكومة على الشعب... وهو يصف الحرية كما لو كانت مؤسسة تعمل من الأعلى إلى الأسفل.... والواضح أنه بات معروفاً أن المعتقدات

الدينية الخاصة بالرئيس جورج بوش الإبن هي التي تغذي تعصبه، واعتقاده بأن كل معارضة لجهوده هي خطأ في حد ذاتها ومخالفة لإرادة الرب.

لقد سحق الحرية والعدالة والسلام بحجة تخليص العالم مما يسميه الإرهاب والإستبداد...

إنه تصرف كساحر أخرق يعتقد بأن مشاهديه هم من البلاهة في مكان لن تمكنهم من إكتشاف الخدعة - خدعته - التي تناثرت أشلاء أمام أعينهم. ويبدو من وجهة نظره أن الحق بالحكم يتضمن الحق بالكذب... ومن هنا عمد إلى تدويل الكذب..

النهج الأميركي التوراتي

تماثل واختلاف...مساواة ودونية...

إن الرئيس الأميركي جورج دابليو بوش ينصب نفسه وكيلاً عن الرب (سبحانه وتعالى) ويستثمر هذا التنصيب إلى حدوده القصوى فيحاول بقواه العسكرية تدمير العقل والثقافة والإنسان..

إنه لا يدافع عن الله والتعاليم السماوية بل يستثمر الله في مصارف الجهل من أجل الدفاع عن أرائه ومخططاته الخاصة والعامة.

كما يسعى الرئيس بوش إلى تثبيت مصالحه ومصالح حاشيته وإدارته التي يرى أنه في إستمرارإغراق شعبه في الوهم والتفكك العقلي أساساً لبقائها.

لقد استولدت الولايات المتحدة وحشاً وراحت تردد كل كلمة من كلماته. وهي كلمات - مقولات قدر لها ذات يوم عندما تكشفت معانيها الحقيقية وتبعاتها المدمرة للناس أن تجرف قادة واشنطن بعيداً على موجة عارمة من الإدانة والتكفير لإرتكابهم كل الأعمال الخسيسة.

إن سياسة الولايات المتحدة الأميركية بمجملها تجارة مالية فورية، وهواتف محمولة ومكدونالد وستاربكس وإجازات محجوزة على الإنترنت. ولكن عندما تُمس واحدة منها أو بعضها، فالإحتكام لا يكون إلا للقوة العسكرية...

إن المنهجية الأميركية دأبها تخطي الشرعية الدولية كلما قضت مصالح الإدارة الأميركية ذلك. وكذلك القفز فوق حقوق الإنسان ومبادئ الأمم المتحدة والقيم الديموقراطية والدينية والإنسانية. وهي تُسقط من أجل مصالحها كل مكونات الحقيقة والعدالة.

لذلك نراها تسعى إلى خلق حالة دائمة من التوتر العالمي أي حالة من الحرب المحدودة الدائمة.

لقد اختلقت حوادث داخل الأراضي الأميركية وأسمتها خطورة الجمرة الخبيثة...

ولا نزال نذكر كيف تعطلت نشاطات الكونغرس الأميركي خوفاً من مخاطر الجمرة الخبيثة...

وهي في الواقع كانت أكذوبة مروعة، الهدف منها تهرب الإدارة الأميركية من أي مساءلة حول: ماذا يجرى في العراق؟

وماذا يجرى في أفغانستان؟..

واليوم نسأل أين هي أسلحة الدمار الشامل التي أكد

الرئيس بوش، ووزير دفاعه يومذاك رامسفيلد وجودها في العراق؟

ومن يبحث عن الحقيقة في الولايات المتحدة اليوم تقع يده على ما قاله مؤخراً وزير الخارجية الأميركي السابق كولن باول: "أن الأجهزة الإستخباراتية الأميركية قد ورطتني في إعلان التأكيد على مقولة وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق"؟؟

وإذا ما أمعنا البحث في النشاط الاقتصادي الأميركي نجد أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعتمد على نشاطها الاقتصادي فقط لتأمين حاجياتها، حيث إنها تحتاج يومياً إلى مبلغ مليار ونصف المليار دولار من أجل الحفاظ على مستوى إستهلاكها ومن أجل تغطية العجز في ميزانها التجاري. لذلك تذهب واشنطن إلى خوض حروبها وتمارس ضغوطها في الشرق الأوسط وأوروبا واليابان... من أجل معافاة إقتصادها على حساب الآخرين.

... هذا الواقع الاقتصادي هو الذي دفع منظري السياسة المالية في الولايات المتحدة إلى السعي لخلق نموذج جديد يجمع ما بين قوة الأستثمار ودينامية الإستهلاك والتضخم المعتدل.

... والنقاش يستمر حامياً في أروقة المثقفين في الولايات المتحدة حول منهجية حكوماتهم: "هل يتخلون

عن الجمهورية من أجل الأمبراطورية أم يحافظون عليها "؟!. . .

ويخشى هؤلاء من مخاطر إقامة الأمبراطورية لأن كل أمبراطوريات العالم برغم ما كانت عليه من قوة وقدرة قد شهدت نهاية مفجعة. . . فكيف بالنظام الأيديولوجي الأميركي الذي يقوم على: التماثل والاختلاف، المساواة والدونية. . . !؟؟

وتستمر القيادة الأميركية وسط توترات شتى بتصرفات مؤذية للعالم. . . فهي وإن كانت قوية جداً. . . إلا أنها سارقة جداً وكذلك فإنها ضائعة جداً في مختلف مواقفها وخياراتها.

لذلك لم تتمكن الولايات المتحدة أن تقدم نفسها كعامل استقرار في العالم إذ تحولت بالحركة والصوت والصورة إلى تهديد للعالم. .

. . . وإنها طالما رغبت في تطويق روسيا، لكنها فشلت حتى الآن وهي تستمرعلى هذا الدأب وكلما فشلت تتظاهر بالعطف على موسكو وسياسات موسكو.

وتسعى الولايات المتحدة إلى منع حلفائها الأوروبيين واليابانيين من استعادة حريتهم، ولكنها أيضاً تتلمس الفشل في مسعاها هذا لأنهم ما إن رغبوا بذلك حتى كانت بمتناولهم.

إن التشهير المستمر بـ"محور الشر" ومساندة إسرائيل وتجاهل الفلسطينيين، سياسة أساءت إلى صورة الولايات المتحدة لدى العالم بأكمله وبالذات لدى الأوروبيين. فبعد أن كانت أميركا في نظرهم عامل إستقرار ومحفز للسلام... أضحوا يتوجسون منها ويعتبرونها مثيرة للفوضى وللشغب.

والذي يقلق الولايات المتحدة هو أن العالم واسع جداً ومكتظ بالسكان وكثير التنوع وتتمايز فيه قوى لا تخضع للسيطرة.

وفي خضم ألام التحول العلمي والديموغرافي الذي يشرف على نهايته... فإن العالم الثالث يتجه نحو المزيد من التنمية والمزيد من الديموقراطية. إن الإندفاعات الأيديولوجية والدينية ستهدأ وتبرد في المستقبل خاصة مع تصاعد عملية التنمية، وليس هناك من تهديد شامل للعالم يستدعي نشاطاً خاصاً من الولايات المتحدة الأميركية لحماية الحريات كما تدعي.

والشيء الغريب هو أن أحداً من ساسة العالم لم يعد يثق بكلام المسؤولين الأميركيين ولا يعير لتعهداتهم أي انتباه.

لقد بات على الولايات المتحدة الأميركية الإقتناع بإنه لا يمكن المقايضة على حريات الشعوب وحقوقها السياسية ومشاركتها في صياغة السياسات العامة مقابل وعود لا

تتوفر لها أي ضمانات بحل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية..

كما أنه بات علينا أن ندرك أن سبيلنا إلى التقدم يتطلب من مثقفينا وعلمائنا أن يخضعوا الحضارة والثقافة الرأسمالية في الولايات المتحدة إلى نظرة نقدية تميز بين القيم الإيجابية وبين الموقف العنصري الإستهلاكي، وكذلك بين قيمة المساواة والحرية والديموقراطية والعدالة وبين الإجتهاد في إيجاد التبريرات النفعية لتقويض هذه القيم.

إن الإنجازات التي تتغنى بها الولايات المتحدة الأميركية... قد بددها قادتها الذين ضاعوا في تخبطهم في مستنقعات الأنانية والخروج عن جادة الحق والصواب..

ويفيد هنا الإستشهاد بقول بسمارك: " إن الأجيال التي تقوم بالإنجازات المدهشة يتبعها أجيال تقضي على هذه الإنجازات المدهشة".

... إن الأمة التي تعيش بفضيلة القيم الإنسانية لا يمكن أن تقدم على إيذاء الآخرين. أما ما عرفناه عن أميركا فهو أنه لا يوجد عند قادتها ما يعرف بالوفاء، الوفاء بين العامل ورب العمل، لإنه لا يوجد أمان لأي عامل في أي وظيفة.

إن الثقافة التي تريد أميركا تعميمها ترتكز إلى سيادة

مفهوم يقول إن كل شيء خدعة وكل شيء مباح... إنهم لا يعملون إلا لإضفاء شهوة التغلب بدلاً من أن يعملوا على تحقيق مُثل الغايات البشرية.

إنهم خبراء في الدسائس والمكائد، شديدو القسوة إلى حد التوحش... يعتبرون المخلوق عبداً طالما ادعوا أنهم وكلاء الخالق.

إنهم يتخبطون في أوهام بالية، ويتمسكون بنظام هدم كل قيم الأديان والأخلاق، ولم يكن يرمي إلا إلى تنفيذ المآرب والأطماع..

أما نحن فما نزال نتخبط في دنيا الفشل والإستمراربالخضوع إلى تحمل الهيمنة الخارجية التي أضحت أكثر شراسة من أي وقت مضى...

إن الحكم على السلطة أية سلطة لا ينبغي أن يتم من خلال موقف هذه السلطة من قضية الديموقراطية الشكلية فقط، بل ينبغي أن ينطلق من خلال موقف هذه السلطة من قضايا الناس ومن إحترامها لقيم العدالة والإنصاف وموقفها بالذات من قضايا شعوب العالم، فهل هي تسير في خيار الهيمنة عليها، أم أنها تسعى لتأمين الحقوق لأصحابها وإلى تعميم الإستقرار وتحقيق السلام العادل؟.

من هنا حكمنا في إدانة الإدارة الأميركية المتسلطة والمنحازة، والتي تبني خياراتها على إدعاءات ربانية.

وإذا عُدنا إلى منهجية الإدارة الأميركية لوجدنا أن

دراسة لمؤسسة " فلسن " تقول: " إن 61 مليون أميركي يستمعون بإنتظام إلى مبشرين يقولون لهم: إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمنع حرب نووية تنفجر في حياتنا..." . إنها منهجية ترتكز على النظريات الإنجيلية التي تُبث عبر شاشات التلفزة وأهمها نظرية هرمجدون..

... ومجيدو أو مجدون هو تل يقع على كتف وادى ٍ يدعى "يزرعيل" على بعد 20 ميلاً شرقي مدينة حيفا، وكلمة "هر" بالعبرية تعني جبل أضيفت إلى مجيدون فأصبحت هرمجدون أي تل أو جبل مجدون. وقد جرت على أرض هرمجدون حسب العهد القديم معارك كثيرة قديماً قبل الميلاد وبعده.

وهكذا توغلت تلك المفاهيم الخاطئة لنبؤات العهد القديم في وجدان الشعب الأميركي منذ القرن التاسع عشر حتى القرن الواحد والعشرين الذي نعيش. ويشكل ذلك الخلفية الأيديولوجية للمنهجية التي تسير على هديها الإدارة الأميركية.

اليهود.. والعالم

حذر بنيامين فرانكلين أحد الأبناء المؤسسين للولايات المتحدة الأميركية منذ العام 1789 من خطر اليهود على أميركا، واعتبر في خطبة له شهيرة أنهم حيث حلوا أذلوا الشعوب وحاولوا المس بالكرامة والهيبة معاً.

وأشار فرانكلين إلى ما جرى في البرتغال وإسبانيا مستشهداً بأنهم أي اليهود أشبه بالعلقة مصاصة الدماء التي لا تستطيع العيش مع أخواتها... وأكد فرانكلين أنه إذا لم يتم إقصاء اليهود عن الولايات المتحدة الأميركية بقوة الدستور وخلال مائة عام على الأقل..." فإنهم سيتدفقون كالسيل للسيطرة علينا وتغيير نظام حكمنا الذي نبذل من أجله ونضحي بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا" على حد تعبيره.

ومما جاء في إحدى خطب فرانكلين أيضاً: " أحذركم أيها السادة بأنكم إذا لم تطردوا اليهود إلى الأبد فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم".. وأضاف: "إن اليهود خطر علينا وإذا ما سُمح لهم بالإستيطان عندنا فإن مؤسساتنا ستكون كلها معرضة للخطر لذلك علينا أن نقصيهم عنا بقوة القانون.."

وإذا ما أمعنا التفكير في هذا الكلام نجد أن بنيامين فرنكلين كان على حق حيث أن الولايات المتحدة الأميركية أضحت مكبلة بمصالح اليهود وبالنفوذ الذي بات يوجه معظم المؤسسات الأميركية.

لقد انطلق فرانكلين في موقفه هذا من مقولة أساسية، هي أن عقيدة الآباء المؤسسين للديموقراطية الأميركية تؤمن بأن من يملك أصول البلد عليه أن يحكمها..

والشيء الغريب في الولايات المتحدة هو أن المحافظين الجدد المتحالفين مع الصهيونية ساعدوا في إنشاء صنف أميركي موالٍ للنهج المحافظ متحرر من جذوره الأوروبية. ومع هذا الحلف الجهنمي أصبحت الأفكارالمحافظة هي البضاعة التي تتم مقايضتها...

وكذلك أضحت الديبلوماسية مع هذا التحالف وبالنسبة لواشنطن موضة قديمة. إن المحافظين الجدد كانوا يعتقدون أنه بوسعهم توجيه النمر إذا ما امتطوه. لكن جُل ما استطاعوا فعله للأسف هو منحه شرعية زائفة وصوتاً ناعماً.

وفي الواقع لقد حاولت اليهودية التلمودية ولا تزال طمس المسيحية والقضاء عليها وخنقها منذ نشأتها وحتى يومنا هذا. في حين أن المسيحية بمفهومها ومبادئها تشمل جميع البشر وهي ليست مخصصة لشعب معين أو عرق

معين. وهي دعوة إلى الحرية والديموقراطية في ذات الإنسان والخير المطلق لكل شعوب الأرض.

وهكذا نرى أن اليهودية الصهيونية هي مجموعة مصالح لشعب معين اختار نفسه ليكون شعب الله المختار. كما أنها حركة عنصرية تسعى إلى هدم المسيحية وتعتبر الله خادم الشعب اليهودي، في حين ترى المسيحية أن الله من الأزل وإلى الأزل والإنسان وُلد في مرحلة معينة ويستمر في الروح مع الله إلى الأزل.. ولذا يلتزم المسيحيون بالديموقراطية بصفتها الحماية الوحيدة لقدسية الشخصية الإنسانية.

من هنا نرى أن المبدأ الخسيس هو الذي يحكم سلوكيات من يدّعون أنهم أسياد البشرية.. كل شيء لأنفسنا ولا شيء لغيرنا.

فإرهابهم ضدنا وضد من يساعدنا هو بالنسبة لهم للقضاء على الشر المطلق، بينما " إرهابنا " ضدهم فهو تحالف الشياطين... وأن كل أذية تلحق بنا نستحقها، وإذا ما لحقت بهم أذية فهي حسب عقيدتهم إعتداء عليهم...!؟

ومن خلال ذلك نجد أن النظام الأميركي قد وقع فعلياً في المأزق، أي أنه يسلك وجهة من شأنها أن تُسدل الستار على قيمه التاريخية: قيم المساواة والحرية والديموقراطية ذات المعنى...

إن مفاهيم سياسة الولايات المتحدة ملتبسة وغير دقيقة وهي تقودنا نتيجة سيطرة القوى المحافظة عليها إلى حدّ الشعور بالإحباط. . .

إننا نجد في الخارج خيط تواصل متيناً، مفاده أن الديموقراطية مقبولة إذا كانت متوافقة مع المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للولايات المتحدة الأميركية والمبدأ عينه يطال الداخل الأميركي نفسه أيضاً ولو بشكل معدل. .

أين المجتمع الأميركي اليوم من هذه المتناقضات؟. .

من الواضح إننا نرى بشكل ملحوظ أن الصهيونيين باتوا متسللين إلى ما تحت جلود أفراد الشعب الأميركي. . كما بات واضحاً أن ما يمكن فقدانه مع هذا التحالف الشيطاني بين المسحيين الجدد والصهيونيين هو أكثر بكثير مما يمكن كسبه.

. . . وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن قادة عميان لا يمكنهم قيادة عميان. إنهم أي قادة الولايات المتحدة الأميركية في خضم أفكار وتيارات وقوى ومصالح تحتك ببعضها البعض وتصطدم أحياناً وتحدث من أثر ذلك شحنات تتراوح حركتها وطاقتها وتتفاوت بمقدار ما تتأثر بما يجري على السطح من أفكار وردود أفعال.

وتتحرك واشنطن لتوجيه الإتهامات جزافاً وبدون وجه

حق، ولعلّي لا أبالغ إذا قلت إن هذا النوع من الحملات يرتدّ على المفروض فيهم أن يكونوا أصحابها قبل أن ينعكس على المقصود لهم أن يكونوا ضحاياها.

وليس أدل على ما نقول ما قاله كولن باول وزير خارجية الرئيس بوش السابق عن دونالد رامسفيلد وزير الدفاع السابق بإنه إذا كنا لا نعرف ما يجري في رؤوسنا فكيف لنا أن نزعم معرفة ما يجري في العالم؟.

وبدون عناء، توصل الجميع إلى حقيقة أن العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة الأميركية وبين إسرائيل أساسها الدين وبالذات ما جاء في التوراة والإنجيل من نبوءات حول المجيء الثاني للسيد المسيح وشعب الله المختار ومعركة هرمجدون.

ونحن نستغرب أن تكون هذه العلاقة مبنية على شذرات من هنا وشذرات من هناك... وكأن الجميع أو بعضهم من أصحاب القرار في واشنطن وفي دول الغرب لم يعودوا يتذكرون التاريخ جيداً وبالذات الفضائح الكبيرة، من فساد ورشاوي إتُهم بها اليهود في إنكلترا حيث حكم على عشرات منهم بالإعدام وهي العملية التي تورط فيها جماعة (الطورانيون) اليهودية، فيما أصدر الملك أدوارد الأول الذي خلف الملك هنري قانوناً حرّم بموجبه على اليهود ممارسة الربا ثم أتبعه قراراً بطردهم

من إنكلترا بعد تحديهم لأوامر الملك... وقد حذا ملوك أوروبا حذوه فقاموا بطرد اليهود من بلادهم.

لقد سجل التاريخ أن فرنسا وسكسونا 1306و1348 وهنغاريا 1370 و سلوفاكيا 1380 والنمسا 1420 وإسبانيا 1492 قاموا بطرد اليهود من بلادهم.

وكم نرى من الواجب في هذا المجال أن نتوقف عند مطالعة نابليون في المجلس الأمبراطوري عندما قال بنبرة قوية: "يجب ألا ننظر إلى اليهود كعنصر مميز بل كغرباء، وكم سيكون إذلالاً لنا أن نحكم بهؤلاء، مردداً أنهم أذل شعب على وجه الأرض".

... إن مؤسسي الدولة الأميركية أدركوا منذ البداية خطر اليهود على الولايات المتحدة الأميركية، ونشير في هذا المجال مرة أخرى إلى بنيامين فرانكلين الذي خاطب المسؤولين الأميركيين قائلاً لهم: "إنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم".

... واليوم في وقتنا الحاضر ماذا نرى؟..

إنه بحق عصر الإضطرابات الأميركية وسوف يكون من الحكمة والأخلاق بمكان أن يجهد العالم للحد من التكلفة البشرية لتمزقاته.

... ومن الحكمة بالذات أن يدين العالم المخططات الصهيونية العالمية بكل تفاصيلها.

والواجب يفرض علينا الحذر واليقظة، وأن نؤمن بشكل قاطع أن الكلمة لا تصير جسداً ما لم يتقمصها القارئ وتحل فيه وإلا فإنها تظل حبراً على ورق.

إدارة المحافظين الجدد والبعد الديني

مُنعت عنا الحياة الكريمة.. وصودر خبزنا الأرضي ولا نعطى منه إلا كمية قليلة نقتاتها..

كل ذلك بثمن ندفعه ذلاً وجوعاً وخضوعاً، وما تبقى لدينا من عنفوان حتى الشهادة يريدون منعها عنا... ويعتبرون من يتصدى للمظالم كأنه خرج عن المألوف وصنفوه إرهابياً...ومن ضحى بحياته من أجل قضية وطنه وشعبه ومجتمعه أغاظهم فاعتبروه قاتلاً...

إنهم يمضون أوقاتهم في رفقة الشيطان يجلسون على مائدته، لأنهم لم يتعودا على منهجية الأخلاق والضمائر.. يريدون أن يتحللوا من هذه الوصفات خشية أن يكون لها تأثيرها في العلاقات الدولية..

وهم متيقنون أن الأحداث الهامة فعلياً نادراً ما تتطابق مع الروايات الرسمية... لأنهم لا يريدون للحقيقة أن تظهر..ولا للوقائع أن تأخذ مداها في أنحاء العالم..

إنها نزعات عالمية ولكنها تافهة، ونادراً ما تزعجنا هذه النزعات لأننا نكبر بقضيتنا وهم يصغرون بما يعملون..

دائماً يتحدثون عن الشرعية.. وأية شرعية يريدون؟.. كلمة الشرعية الدولية عند العرب تحولت إلى نكتة سمجة..ولكن على الرغم من مآسيها الكبرى باتوا يتندرون بها. وفي الواقع هناك صراع دائم بين الشرعية والسلطة...إنه أمر يدعو للتعجب...!

أما عند الإدارة الأميركية فقد تحولت الشرعية إلى أداة قتل للأخرين!...

وعند حكام العرب فقد باتت هذه اللفظة ذريعة للصمت أو ذريعة لتأييد العدوان على هذا البلد العربي أو ذاك.

وهكذا نرى أن سياسة الولايات المتحدة تضطهد الإنسان وتلغي ذرائع حريته باسم الدفاع عن " القيم "، وتصادر وقائعه الخاصة والعامة تحت ذرائع متعددة. وتسعى أي الولايات المتحدة إلى تجنيد كل الناس من أجل تأمين مصالحها...

وهي بما أنها بدون تاريخ تحرص على أن ترفض كل التاريخ... وبما أنها بدون إرث.. فهي تهزأ بكل الموروثات المفيدة...وفي الواقع إن الولايات المتحدة نشأت مهجراً ومنفى وملاذاً لعينات مختلفة ومتناقضة من بني البشر.

وهذا على ما يبدو قد جعل الإدارة الأميركية مهجوسة بثقافة النصر ورافضة بأي ثمن منطق وثقافة الهزائم...

وأن تعتاد على معاقبة الذين يناصبونها العداء واتخاذ المواقف المتصلبة والعنيدة أمام ما تراه من تحديات.

. . . . إن العلاقات بين الناس وبين المجتمعات وبين الدول لا تنشأ هكذا وبالصدفة إنما لها أصولها ومنطقها.. وكذلك الصداقات.. إنما تقوم على أسس العلاقات الإنسانية التي يشعر بها المواطنون وتتوثق فيما بينهم يوماً بعد يوم...

إن ما يقوم على المصلحة فقط، يضلل أكثر مما يضيء ويباعد بدلاً من أن يحدد المسار...

إن الأمبراطورية الأميركية تعرف كيف تأخذ ولا تعرف كيف تعطي، وهي إذا صدف وأعطت فإنها تحسب الفوائد مركبة، والحساب له قواعد إقتصادية ومالية وليس قانونية أو أخلاقية.

ولنستعرض ماذا تفعل الولايات المتحدة؟. إن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط تتجاوز مصالحها المباشرة وتعتبر أن مساعدة إسرائيل والإلتزام بها فقط هو أمرٌ أساسي بل هو تنفيذ لإرادة إلهية وممارسته هو بمثابة العبادة..

وتعتبر الولايات المتحدة الأميركية أن مصير الإنسانية وكذلك حيوية المجتمعات البشرية كلها لا قيمة لها طالما أن ذلك يمهد لعودة السيد المسيح..

وفي الواقع إن البعد الديني وبالذات البعد الصهيوني

تحديداً يتحكم في صناعة السياسة الأميركية وفي ممارستها . . .

وهنا تحضرنا مقولة المؤرخ البريطاني توينبي حيث يصف الصهيونية بأنها عبادة إله زائف وأنها " ديانة وثنية " .

وماذا سيكون موقف العالم عندما يكتشف أن هذا النظام الجديد الذي يمهدون له ويبشرون به ليس سوى النظام الرأسمالي القديم، باستغلاله وديموقراطيته الكاذبة، وجشعه الاستعماري الذي ناضل الكثيرون لتغييره والإستعاضة عنه بالنظام الإنساني العادل؟

يقول أحد المفكرين الأميركيين بضرورة المحافظة على اللاتكافؤ في الساحة الدولية، ويدعو المسؤولين إلى التوقف عن التفكير في حقوق الإنسان ورفع مستويات المعيشة. . وإحلال الديموقراطية. .

وفات الإدارة الأميركية معرفة منطق معادلة التاريخ حيث أن الفعل وليس القول هو صانع الحقيقة، وأنه مهما تفنن حكام واشنطن في تضليل الناس في الداخل والخارج فلا بد من انجلاء الوقائع كما هي وليس كما ترغب السياسة الأميركية.

ومن المواضيع الساخنة على الساحة الفكرية العالمية تحوّل أميركا القطب العالمي الأوحد إلى ممارسات سياسية إنفرادية إستعمارية في علاقاتها الدولية على

المستويين الثنائي والعالمي، يدفعها إلى ذلك إمتلاكها لأعتى قوة عسكرية عرفها العالم على أمتداد تاريخه حتى أستبد بها الشعور المفرط بالقوة إلى تحدي الأعداء و الحلفاء على حد سواء. ودفعها ذلك إلى محاولات متكررة ناجحة في أحيان عديدة لمصادرة مسؤوليات الأمم المتحدة وتحديداً مجلس الأمن وإرغامه على البت في قضايا دولية أو إرغامه على إستخدام وسائل الترهيب والترغيب في إتخاذ القرارات التي تمليه عليه..

لقد تنبأ الكاتب الأميركي بول كندي أكثر من مرة بإنهيار الأمبريالية الأميركية بفعل الأمتداد الجغرافي المفرط لمناطق سيطرتها وعجز الموارد الاقتصادية الأميركية عن سد متطلبات حماية هذه الأمبراطورية.

والثابت حتى الآن أن الولايات المتحدة تجهد لتحويل تنظيم "القاعدة " إلى قوة ثابتة وشريرة تشكل محوراً للإرهاب المنتشر في كل مكان من العالم.. وهي تسعى من وراء ذلك إلى إضفاء الشرعية على أي عمل عقابي تقوم به في أي زمان أو أي مكان.

والذي يزيد الأمور تعقيداً أنه في اللحظة ذاتها التي أكتشف فيها العالم المتجه نحو الإستقرار السياسي والاجتماعي والثقافي، قدرته على التخلي عن أميركا تشابكت الأمور بشكل خطير لأن أميركا أدركت بدورها أنها لم تعد تستطيع التخلي عن العالم، لذلك هي تسعى

وراء ذلك حتى لو كان فيضاً من الدموع والدماء والحرائق.

... وكما يعتقد البعض ونحن منهم أنه في اللحظة التي يكتشف العالم فيه الديموقراطية ويتعلم بالتالي الإستغناء سياسياً عن أميركا. عندئذ تبدأ أميركا بفقدان طابعها الديموقراطي وتكتشف أن العالم يتجه للإستغناء عنها فتدرك ساعتئذ أنها لا تستطيع الإستغناء عن العالم...

وفي مطلق الأحوال إن الولايات المتحدة القوية جداً والسارقة جداً والعدوانية جداً والضائعة جداً في مواقفها الدولية لا تملك الأدوات الاقتصادية والعسكرية الكافية، والأيديولوجيا الضرورية لتمنع حلفاءها الأوروبيين واليابانيين من استعادة حريتهم إذا ما شهروا إرادتهم بذلك.

إن التشهير المستمر بـ "محور الشر " والدعم المبالغ فيه والثابت لإسرائيل وكراهية الشعب الفلسطيني، والإستخفاف بالشعوب العربية، وتجاهل باقي العالم.. .كلها مواقف غيّرت بصورة تدريجية صورة الولايات المتحدة وبالذات لدى الأوروبيين بعد أن كانت في نظرهم هي عامل سلام واستقرار..

لقد أضحى الأوروبيون يتوجسون منها شراً، ويعتبرونها مثيرة للفوضى، والخراب و الشقاق العالمي.

إن العلاقات بين الولايات المتحدة الأميركية وروسيا لم ولن تستقر، لماذا؟ لأن الولايات المتحدة ما زالت حتى بعد سقوط الإتحاد السوفياتي مستمرة في محاولتها لإنهاء دور روسيا أو عزلها، إلا أن خصمها الاستراتيجي القديم ومنافسها الجديد لم يعد بذاك الضعف حتى تمعن أميركا باهانته حيناً أو تتظاهر بالعطف عليه حيناً آخر وكأنه بات على وشك التفكك أوالموت أو التحلل... فروسيا تمتلك إرثاً أمبراطورياً ضخماً، وقدرة عسكرية نووية لا تقل أهمية عن ترسانة الولايات المتحدة، وثروات طبيعية هي الأضخم بين كل دول العالم، وقيادة متشبعة بإحساس قومي يجعلها لا ترضخ لاستفزاز وابتزاز الولايات المتحدة الأميركية. وأحداث جورجيا الأخيرة هي أحد المؤشرات الأولية على ذلك.

... والذي تخشاه أميركا وهي تتابع منزعجة جداً كيف أن العالم يسير في طريق إعادة التكون للخروج من تحت سيطرة قوة إمبريالية واحدة، ليتحول إلى نظام تحكمه التعددية المتوازنة في إطار مجموعات من الأمم متكافئة وإن لم تكن متساوية..

إن الولايات المتحدة تنكرت لرسالتها الحضارية ولدورها التاريخي وأصبحت أداة في أيدي قوى خفية تتلاعب بمصائر العالم، وتستوحي سياستها من مذاهب

دينية تلمودية، وتنطلق من مفاهيم قديمة إختلط فيها النفاق والكذب مع ما تدعيه من قيم باعتبار أنها رسالة الرب..

لذلك فإن سياستها لا تخلو من الإزدواجية والمعايير المنحازة.. وهذا ما أكسبها أكبر قدر من الكراهية في التاريخ الحديث بسبب نهجها الذي يقوم فقط على معادلة أنها القوة العظمى في عالمنا المعاصر وإطاعتها واجب..؟!

إن الولايات المتحدة تقوم بهدر إمكانياتها من أجل ما يستوحيه بعض حكامها من الروايات القديمة وبالذات من العهد القديم وذلك بإيحاء من جماعة التلمود اليهودي.

إنهم يوقدون بمصابيح الدين اليهودي والسياسة الصهيونية علموا أم لم يعلموا... ويوالون لمقولات ثبت بطلانها عبر الآف السنين.... وبذلك فإنهم يُغضِبون في حركة واضحة كل الناس من ذوي الشهامة والفروسية.

إن التعاليم التي ينطلق منها المسيحيون الجدد أو (المحافظون الجدد في الإدارة الأميركية) إنما هي أشواك في عيون العالم و مخارز في جوانبهم.

إن التأثير الملعون للتاريخ الملفق والدورالمطلوب في تعميمه ونقله ينبغي أن يكون مسؤولية على من يتحملون المسؤوليات، وليس التعامل معه بمثل هذه الخفة التي يظهر بها الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن وأعوانه...

أميركا والحلم الصهيوني

يقول المفكر الأميركي نعوم تشومسكي: ".. في الولايات المتحدة هناك "مجتمع النخبة وهناك القطيع التائه... وأن مجتمع النخبة يرى أنه يجب تخويف القطيع التائه" لأنه حسب إعتقاده إذا لم يكن "القطيع التائه " مسكوناً بكل أنواع الخوف والشياطين التي تهدد بتدميره سواء من الداخل أو من الخارج: ".. يمكن لهذا القطيع أن يبدأ بالتفكير، الأمر الذي يهدد بخطر شديد. لأن القطيع يفتقر إلى ما يؤهله للتفكير.. "

في حقيقة الأمر إن النظام القائم في الولايات المتحدة الأميركية يتحدى أسس وقواعد العدل في كل مكان... فهو نموذج للتحول إلى أصولية تلمودية عنصرية أضحت تشكل خطراً على كل القيم الإنسانية.

ينطلق هذا النظام من مفاهيم دينية لكنه يتغاضى بالممارسة عن جوهر كل الديانات... لأن مفاهيمه ترتكز على كم كبير من الروايات والخرافات...

يقف النظام الأميركي إلى جانب إسرائيل ويتذرع المحافظون الجدد فيه أنهم يفعلون ذلك استناداً إلى

روايات دينية. ولكن أي دين يرضى بقتل الأبرياء، بتدمير الأطفال والنساء والشيوخ. إنهم مع إسرائيل مهما ارتكبت ومهما تجاوزت المبادئ والمثل، فإنهم دائماً يبرّرون لها إرتكاباتها... ودائماً يعطونها الحق فيما تقوم به من حماقات ومجازر، لماذا؟ لأن الأساطير ذاتها والأقاويل نفسها لها من يفسرها في صلب هذا النظام ويروّج لتفعيلها والعمل بمضامينها مهما كانت تافهة وممجوجة.

وفي هذا المجال ليس هناك أبلغ مما قاله الزعيم الأميركي بنيامين فرانكلين: " إن اليهود طفيليات قذرة، مصاصو دماء، وإنهم أطاحوا بالمستوى الخلقي في كل أرض حلوا بها ".

وينصح الزعيم الأميركي نفسه المسؤولين الأميركيين بأن يحذروا اليهود وبأن لا يدعوهم يسيطروا على أي موقع هام لا في الدولة ولا في مؤسسات القرار في الولايات المتحدة...

وفي حقيقة الأمر أن اليهود يتصرفون على أنهم الشعب المختار من بين جميع الشعوب، وهم بذلك يمثلون العبقرية اللّاأخلاقية من بين الشعوب جميعاً بفضل قدرتهم الهائلة على احتقار الإنسان أكثر مما فعل أي شعب أو أي إنسان آخر.

وإذا ما تعمّقنا في ملابسات قيام دولة إسرائيل نرى أن هذه الدولة لم تصنعها أحكام الطبيعة، ولكن صنعتها

حماقة الإنسان... واستمرت بدعم القوى المتعصبة التي ترتكز في عقيدتها على رزمة من الخرافات والأساطير...

وإذا ما استعرضنا تاريخ اليهود نجد أنه تاريخ ملطخ بالدماء والغدر والحروب... ومما لا شك فيه أن الطبيعة العدوانية التي تميز بها التاريخ اليهودي وبالتالي الشعب اليهودي نفسه هي طبيعة متأصلة في هذا الشعب بحكم التعاليم التلمودية والتربية الدينية التوراتية وليست ظرفية أو مكتسبة.

إنهم ما فتئوا منذ وجودهم الأول يقاتلون كل الشعوب التي تقف حائلاً دون تحقيق أطماعهم السياسية العدوانية التي يبررونها بوعد الرب، وعد رب إسرائيل لهم بأرض الميعاد.

وفي الواقع، إن اليهود ليسو أمة حية، إنهم غرباء في كل مكان يعيشون فيه، لذا يحتقرهم العالم. وهم منذ نشأتهم الأولى قد توارثوا الطبيعة العدوانية جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا. ولم يتورع مفكروهم وحكماؤهم في الحركة الصهيونية منذ نشوئها أن يفلسفوا العدوان ويسوغونه بمفهوم رسالي لشعبهم مستندين في فلسفتهم هذه إلى إدعاءات فارغة بأن الله فضّلهم من بني البشر.

يتميزون بشذوذ طباعهم وبعنصريتهم فهم أنانيون عنصريون، ينطوون على أنفسهم ولا يحبون خيراً لغيرهم. إنهم ينطلقون من فلسفة هي خليط من خيال الرواة

وإسقطاتهم على حوادث الطبيعة، لذلك هي في تناقض دائم مع المنطق ومع سير قانون الحياة وواقع الطبيعة.

وإسرائيل التي باتت تعبر عن الحلم اليهودي القائم على التعصب والتزمت، قد ولدت بالسيف ولا بد لها أن تعيش إلا به... وهذا ما دفع الحاخام ديفيد وايت إلى القول "إن إسرائيل دولة ستزول حتماً لأنها ضد الله، فهو قد حرمنا من تأسيس دولة عقاباً لنا وقبلنا بذلك ورضينا بأن نعيش متوزعين بسلام بين شعوب العالم".

وهنا لا بد من إشارة هامة، هي أن الصليبية الحديثة هي أمّ الصهيونية والصليبية الأميركية المعاصرة، هي الراعية للصهيونية والمحرّضة لها على متابعة العدوان.

إنهم يقومون بهدر دماء الأخرين وبمصادرة حقوق الغير. ومنطق الأمور يقول إنهم أناس بغيضون يصنعون الحروب بسرور وبدافع لا أخلاقي...

عن هذه العلاقة الأميركية الإسرائيلية لا نكتشف جديداً إذا قلنا: إن العدالة هي أولى ضحاياها...

ولا نخفي سراً إذا قلنا إنهما استخدمتا كل الأسلحة لتبرير الإعتداءات المتكررة: التضليل، التلاعب، الحرب النفسية، الخداع، التخويف، التشويش، إخفاء الحقائق وعسكرة الإعلام وإرهاب الصحافة.

لقد أدركت الولايات المتحدة وكذلك إسرائيل أهمية التلفزيون فاستخدمتاه في إغتيال العمل السياسي بأساليب

مقرفة... وكان الهمّ الأكبر لكلتاهما الحصول على أكبر قدر من التأثير على حساب الحقيقة...

وهكذا أصبح بمقدورهما أي الولايات المتحدة وإسرائيل صنع صورة جديدة لكل شيء وعلى قولبة المفاهيم والتأثير الحقيقي في الرأي العام العالمي...

وعندما سئل أحد مفكري المحافظين الجدد عن معنى السياسة بالنسبة إليه أجاب: السياسة لا تعني لي شيئاً لأنها تنام بينما التلفزيون الذي أتعلق به يبقى صاحياً وبالذات في أميركا...

وحتى الآن وعلى الرغم من الفشل الذريع للسياسة الأميركية في مجمل أنحاء العالم، في أفغانستان، في العراق، في فلسطين وفي لبنان... فإن الآباء المؤسسين للمحافظين الجدد ما زالوا في أوج هذيانهم، إنهم ساعون لصياغة العالم بما يتوافق مع مصالح القابضين على القرار الأميركي ومعهم إسرائيل...

وهؤلاء فاتهم أنهم يقاتلون أناساً أضحت قضيتهم أغلى من حياتهم، وأن مبادءهم باتت أثمن من وجودهم... ألم يدرك هؤلاء المحافظون الجدد بعد أن الذين يقاتلونهم تقضي عقيدتهم بالتوحد مع الهدف حتى النصر أو الإستشهاد؟

ولماذا لا نحدد أكثر؟ إن الفلسطينيين يعلمون جيداً أنهم يقاتلون من أجل وجودهم في حين يعلم الإسرائيليون

أنهم يقاتلون من أجل الإستيلاء على حقوق الغير ومن أجل المستوطنين.

إنها الحقيقة التي تثير سؤالاً منطقياً وإن كان مزعجاً للبعض، لماذا تهدد أشخاصاً بالموت إذا كانوا قد تطوعوا للإستشهاد فعلاً من أجل قضيتهم؟

وعلى العالم أن يدرك أنه لخطأ قاتل أن نضحي بالعدالة من أجل السلام، لأنه عندما تسقط العدالة يستحيل على السلام أن يستتب....

السياسة الأميركية عقيدة أم مصالح؟

من الواضح جداً أن الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن قد سجّل أكبر خسارة للسياسة الخارجية للإدارة الأميركية. لقد تمكن خلال فترة زمنية وجيزة أن يحوّل بلاده (الولايات المتحدة) إلى بلد مكروه جداً في العالم بعدما حاول أن يجعله بلداً مرهوباً جداً. . . ونتيجة لذلك أضحى العالم كله تقريباً ينظر بشك وغالباً بكراهية إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبالذات إلى سياساتها وأفكارها وصادراتها من القيم في شتى الميادين. . .

. . . العالم كل العالم يقول بالفم الملآن لواشنطن: عليك أن تختاري بين الحرب الوقائية والديموقراطية، ولكن يتعذر عليك الجمع بينهما.

وهذا ما حدا بالكثيرين من المفكرين الأميركيين أن يعلنوا بأن شعوب العالم تكره سياسة الولايات المتحدة الأميركية ليس لأنها تقوم على الحرية، وإنما يكرهونها لأنها تستند على الكذب والنفاق وممارسة العنف بأبشع صوره.

. . . إن ما تقوم به الإدارة الأميركية قد جعل الولايات المتحدة تتحوّل أو على وشك أن تصبح عامل

فوضى في العالم لما تثيره من نعرات واستفزازات وما تقيمه من نزعات في أكثر من موقع على مساحة الكرة الأرضية.

وفي الحقيقة أن النظام الأميركي الذي ترأسه جورج بوش الإبن وإدارته المحافظة قد تحدى أسس وقواعد العدل التي هي جوهر الحياة الإنسانية ومرتكز كل الديانات...

هذا العمل الدائب إلى إعادة صياغة العالم كما تشاء الولايات المتحدة الأميركية يمثل جوهر مشروع " النظام العالمي الجديد " الذي تقوده واشنطن.

وهي تزعم... أي الولايات المتحدة الأميركية... أنها تسعى لإعادة تشكيل العالم بشكل عام والشرق الأوسط بشكل خاص بما يتوافق مع الفكر الأميركي الذي يدّعون أنه تحرري. ويعلنون في واشنطن أنهم في سعي حثيث لدعم وتطوير حكومات وأسواق متحررة...!!

والكل يدرك أن الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة تعني بداية ونهاية كيف تؤمن الإدارة الأميركية مصالحها وكيف تمارس التهديدات التي من شأنها تحقيق هذه المصالح ووسائل التعامل معها.

إنهم يحترفون منهجية تتميّز بغطرسة القوة وطغيان الأيديولوجيات العصبية المتطرفة، ويسكنهم طموحٌ لإقامة

أمبراطورية إمبريالية تتّسم بجهل المحافظين الجدد بثقافات وتاريخ شعوب العالم. . .

والشيء الغريب أنهم يدّعون الديموقراطية، ولكن لا يعترفون بنتائجها إذا لم تتوافق مع مصالح الولايات المتحدة. . . ولذلك لن يكون مستهجناً إذا ما رأينا بأن الحقيقة هي أولى ضحايا السياسة الأميركية.

هكذا كشفت حرب العراق، أن الديبلوماسية أصبحت موضة قديمة بالنسبة إلى واشنطن التي تضرب بعرض الحائط بميثاق الأمم المتحدة وتحرص على أن لا تحافظ على مبادئ التعاون الدولي. وفي عناد قلّ مثيله سعت الولايات المتحدة إلى جعل العالم كل العالم يريد ما تريد. . .

ونلاحظ أن المحافظين الجدد قد تشبعوا بعمق النظرية اللينينية التي ترى أن السيطرة على الماضي ضرورية للسيطرة على المستقبل وهم يسمون ذلك بتسميات أخرى أو كما يردّدون تسمية ما لا يمكن تسميته.

من هنا عمل المحافظون الجدد على دمغ التاريخ ببصماتهم وهي برأينا بصمات مزيفة، وهذا ما وصفناه بتسمية ما لا يمكن تسميته.

. . . وغالباً ما اعتبر خطاب المحافظين الجدد أن تناول الشروط الاجتماعية والسياسية للمجتمع الحديث

شديد الإرتباط بمسألة الدين، ولكن أي دين؟! إن ما وقع بين أيديهم هي مؤلفات وكتب تستند إلى العهد القديم... وغالباً ما انسابت بين صفحاتها روايات ممجوجة تقوم على خرافات يلفظها العقل والمنطق.

وهذا ما حمل أحدهم على القول متهكماً: إن الذهاب إلى الفراش مع معتقدات الرئيس جورج بوش الإبن هو خطأ تاريخي وخطأ إنساني وخطأ سياسي بدون أدنى شك...

لا يمكن لأحد أن يتجاهل: أنه خلف صراع المصالح تكمن رؤىً وأفكار. وأن تلك الرؤى والأفكار هي التي تقودنا إلى تلمّس حيثيات الواقع وإدراكها. لأن الأفكار تحدد كيفية إدراك الواقع. والطاعة الكبرى في السياسة هي عندما يحاول البعض تجاوز الواقع إلى الغرق في بحر من الأساطير والأكاذيب الهادفة إلى تدمير أفكار الآخرين...

هكذا اجتاز المحافظون الجدد طريقاً طويلة ودائرية تنسجم مع خاصّية فلسفتهم المراوغة...

وبذلك نادتهم شهوة السيطرة، فاندفعوا يدمّرون ما يقع تحت أقدامهم من خير وصدق... كما دمروا في طريقهم أسس الديموقراطية ومعالم الحرية.

ويعتقد المحافظون الجدد أن التحديات التي تواجههم هي ذات طابع عسكري أساساً، وأن النصر لا يتحقق إلا

بالقوة العسكرية وحدها. قد يكون ذلك صحيحاً عندما يقاتل همجي همجياً آخر في أسبقية على مرعى أو بسبب قطعة أرض. لكنه يعتبر خطأً جسيماً عندما تحاول حضارة ما أن تدمّر حضارة أخرى وتأمل هي أن تخرج منتصرة.

وهكذا بتنا نلاحظ أن الولايات المتحدة الأميركية صار همّها الأساسي يكمن في تحويل لحظة أحادية القطب إلى حقبة القطب الواحد. . .

والشيء الخطير هو أن الولايات المتحدة الأميركية وهي المفرغة من كل التاريخ ومن أي إرث ثقافي عميق تعمل على بناء معارفها وثقافتها من خلال تدمير ثقافات ومعارف الآخرين أو النقل عنها بصيغ مشوهة، يمكن تسميتها بجهل "العارف".

يحكمون بلادهم وهي قوة عسكرية هامة لا بل القوة الأعظم والأكبر في العالم، لكنهم مجردون من المبادئ ويفتقرون إلى النظم والقيم الأخلاقية والإنسانية.

ومما لا شك فيه أن المحافظين الجدد قد ساعدوا في إنشاء صنف أميركي أصيل مغرق في ثقافة النهج المحافظ ومتحرّر من جذوره الأوروبية. . .

وهم لم يسعوا إلى بناء وطن بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنىً، إنما أقاموا دولة وفق معادلة خطيرة جداً تقوم على صيغة الثنائية، (نحن) مقابل (هم) و(الخير) مقابل (الشر) و(اليمين) مقابل (اليسار) وما إلى هنالك. . .

وفاتهم وهم في قمة العنجهية والغطرسة أن القوة العسكرية ليست المقياس النهائي للجبروت.

ونلاحظ أن المحافظين الجدد اليوم يجتمعون حول ثلاثة أهداف: الأول هو إيمانهم الناتج عن إعتقاد ديني بأن الوضع الإنساني يُعرّف بأنه إختيار بين الخير والشرّ وأن المقياس الحقيقي لتميز الشخصية السياسية إنما يكمن في مدى إستعداد الخيّرين أنفسهم لمواجهة الأشرار.

والثاني التأكيد على أن المحدّد الجوهري في العلاقة بين الدول هو القوة العسكرية والرغبة في إستخدامها.

والثالث هو التركيز الأساسي على الشرق الأوسط والإسلام باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيسي للمصالح الأميركية في الخارج.

وبكلمة واضحة بالنسبة لهم إن أمن الولايات المتحدة يبدأ حيث تتواجد مصالحها في أي مكان في العالم وأن لا قيمة لديها لا للعدل ولا للحقوق ولا لإرادة الشعوب.

عقدة الولايات المتحدة... دائماً التاريخ

مما لا شك فيه أن كل الحقائق لها بدايات ومقدمات في فكر عامة الشعوب، ولا يجوز لأحد أن يتجاهل هذه المقولة لأنها القاعدة الأساس التي يبنى عليها مبدأ احترام الحقوق، حقوقنا وحقوق الغير، وأساس الإعتراف بما لنا ومعنا واحترام ما لغيرنا وما معهم.

وإذا كان هناك من تناقض مع هذا الواقع نجده فقط في الولايات المتحدة فلأنها لا تعتبر التاريخ بداية لأي شيء، وإنما تعتبر اللحظة الراهنة بداية كل شيء. لأنها أي الولايات المتحدة بدون تاريخ وتتمتع بانتشار كبير، وفي هذا التورم الجغرافي ما يدعو إلى السلوك الطاووسي وإلى إلغاء حقوق وحدود الغير المخالف باعتبارها الدولة العظمى المهيمنة وبمقدورها التلاعب بالقانون الدولي كما تشاء. هذا الواقع يجعل من هذه الدولة تتنكر لحقوق المجتمعات البشرية بأسرها ولقوانينها، وأن لا تعترف إلا بمبدأ واحد هو أن كل الحقائق تبدأ الآن وليس للتاريخ أي أهمية، وأن مصلحتها هي مصلحة العالم وفي ما عدا ذلك ترفضه لا بل تقاتله بدون هوادة.

وباتت سياسة الولايات المتحدة واضحة للعيان، فهي

تعتبر أن العدل حكم الضعفاء، وأن القانون يكتبه الأقوياء، وأن من يوقع الشيك هو الذي يفرض مشيئته في النهاية وغير ذلك هو الإدعاء.

وتقوم السياسة الأميركية على مقولة: عين ترى وتلاحظ وتقرأ وتتابع ولكن ذاكرة معطّلة لا يجوز لها أن تسترجع ما تختزنه من ذكريات.

إن سياسة الولايات المتحدة جعلت المزاج العام ساخناً وأحياناً تعمدت أن تتركه منفلتاً من كل قيود أو أصول. ودائماً المشكلة المستعصية في الولايات المتحدة هي أنها بلاد واسعة بالمعنى الجغرافي ولكنها دون تاريخ. ومن البديهي أن نشير إلى أن التاريخ هو بحد ذاته حركة تضبط إيقاع الشعوب وتردها إلى إحترام ماضيها الذي لا يجوز التنكر له أو معارضته من أجل مكاسب خاصة أو إحراز منافع معينة.

مع التأكيد على أن التاريخ يواصل حركته ويضع نقاط تحوله ويحدد نهايات طرقه سواء تنبه أصحاب القرار في حينه واستجابوا أو أنهم غفلوا حتى فات الأوان أو أوشك.

فأي تاريخ للولايات المتحدة من شأنه أن يحدد مسار مستقبلها ويضبط إيقاع حركتها ويحول دون أن تنقضّ على ماضيها لتنقضه لأنها لا تريد أن تراه في حاضرها ومستقبلها؟

وتعتبر الولايات المتحدة أن التاريخ، تاريخ أي شعب أو أية أمة عبء ثقيل على الحاضر والمستقبل، وترى أن التهافت على التاريخ هو دليل على الضعف والوهن وشاهد على تآكل الإرادة السياسية وقصورها عن تحمل مسؤولية الصراع من أجل الحياة والصراع من أجل التقدم، وبالذات من أجل السيطرة على الآخرين والهيمنة المطلقة في شتى المجالات.

إن همّ الولايات المتحدة دائماً أن توحي بأنها حريصة على معالجة شؤون العالم، ولكنها بالفعل تركّز همومها على إيجاد إنطباعات أكثر منها على حلّ أزمات. إن مفهوم الوطن في الولايات المتحدة لا يستند إلى تاريخ بدوره إنما قامت تلك البلاد على مفهوم المواطن _ الملاذ _ الملجأ _ أو الفرصة المتاحة لجمع الثروة. وهذا ما يفرض على كل جماعة أن تتجهّز بعوامل القوة لتخوض معارك مصيرية مع الآخرين، ومن يغلب يكسب الأرض والثروة والقرار ومن ثم يفرض مشيئته ويتحكم بالعوامل السياسية حيث إن الذاكرة الوطنية للشعوب في بعض الأحيان عبء بمقدار ما هي حافز.

وقد استمرت الحروب في تلك البلاد لعقود وكان بعضهم يدعو إلى المزيد من سفك الدماء وهم يعتقدون أنه عندما يتواصل سفك الدماء تموت الأعصاب، وحين تموت الأعصاب يموت الضمير، وعندما يموت الضمير

تموت الثقافة، وعندما تموت الثقافة يتساوى الإنسان في المدينة مع الوحش في الغابة تاركاً روحه وعقله في كهوف الظلام.

الولايات المتحدة لم تنشأ كوطن إنما نشأت كموطن. ولم تبدأ كدولة وإنما بدأت كملجأ مفتوح ومتاح لكل من يستطيع عبور المحيط إليه. فقر في الإرث أو التراث ولكنه يشكل عوناً على مواجهة مستقبل مفرغ من العقَد والذي يصفه المفكرون الأميركيون بالواقعية. ومما لا بد من الإشارة إليه هو أن التاريخ يملأ الذاكرة بمفاهيم واعتبارات تشكل معظم الأحيان عبئاً على أصحابها بينما اللاتاريخ يجعل الشعب محرراً من الماضي وكذلك مرتاحاً من الذاكرة، حيث إنه في النسيان تستهلك الأزمة نفسها بنفسها بالتحلل والتآكل والتلاشي، وحيث الوطن الأميركي أعفى نفسه من أعباء التاريخ القديم، والشرائع السابقة والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى التقلصات الدينية وسواها.

أخذت أميركا من العالم القديم كل ما أرادته دون معاناة أو ألم، دون حقوق أو موجبات، ذهبت إلى أوروبا فاشترت ما عاينته بالسعر المناسب وذهبت إلى الشرق واختارت ما وجدته مجاناً أو بثمن زهيد وكان لها ما تشاء وما تريد بدون موانع. وتعتمد الولايات المتحدة مبدأ التفوق في ميدان القوة لأنها تعتبر أن القوة هي دائماً على

حق، وأن الضعيف محكوم عليه وإن كانت القوانين والمواثيق كلها تزكيه وتشهد لصالحه.

إنها معادلة رهيبة وخطيرة، فعندما تتجرد قوة السلاح من كوابح المبادئ والقيَم والثقافة فإن السلاح يطيح بكل ما يلتقيه بدون مقدمات وبغير ضوابط. وتضيف الولايات المتحدة إلى سياسة التمييز بالقوة المطلقة مبدأً ثانياً يقوم على أنها تقدم للعالم أسلوبها في الحياة إغراءً، كما تقدم مجالات التقدم العلمي إقناعاً.

إنها بالفعل تفرض على العالم زمانها، وفيه تقدمها وقوتها وهيمنتها. إنها محشورة في كل بلد ومندسّة ربما في كل بيت، فهي بالفعل ظاهرة غير مسبوقة بضرواتها وبمرارتها في قصة الإنسانية. إن سياسة الأميركيين الخارجية مفرطة في السذاجة وبعيدة عن العدل لا بل مفرطة فيما يسمى خداع الموت.

إن الولايات المتحدة تملك قدرات كبيرة، كما أنها بحد ذاتها قوة هائلة ومرعبة، لكنها في الواقع ساذجة لم تصل إليها خبرة وحكمة الأمم القديمة. وفي إشارة عابرة ومميزة، إن كل الحقائق لها بدايات ومقدمات في فكر الشعوب عامة أما في ما يخص الشعب الأميركي فإن كل الحقائق تبدأ الآن.

إنهم يرددون دائماً قولهم: تلمسنا البداية فأين النهاية؟

إنهم يحاولون وقد تمكنوا من الهيمنة على الحاضر كي يتمكنوا من السيطرة على المستقبل ولا أحد يعلم ماذا سيكون هذا المستقبل؟لأن كل حساب لا بد له من قواعد يقاس عليها في زمانه، مع معرفة دقيقة بما قد يحمله المستقبل من مفاجآت ومتغيرات. وبكلمة موجزة فإن السياسة الطيبة لا تضمن النجاح الأكيد، ولكن السياسات السيئة تضمن الفشل المحقق، ويطيب لنا أن نشير إلى أن حقائق الأشياء تضغط بالتنبيه والتحذير قبل أن تتراكم الخسارة على الخسارة ويحل الإفلاس.

إن المعجزة في حياة الفرد تحتاج إلى خوارق، لكنها بالنسبة للشعوب والأمم لا تحتاج لغير شرط واحد هو الإرادة، وإذا كان الشعب أو الأمة وراءه تجربة في صنع التاريخ ومعه ثقافة عكست عصوراً من التفاعل والعطاء في حقل الحضارة الإنسانية زادت أحياناً أو قلّت، بالإضافة إلى نضج صنعته قرون طويلة من صراعات القوة والثقافة والاقتصاد، انتصرت فيها مرات أو فشلت أحياناً، فالأمر معكوس تماماً بالنسبة للشعب الأميركي الذي تراكمت لديه يقظة الإرادة ولكنه يفتقر إلى ثقافة التجربة التي تستدعي بدورها حكمة العقل.. على الرغم مما تدفع إليه مشاعر الخوف من هواجس الدخول إلى مزالق الخطر، الأمر الذي يستوجب سرعة الحركة بعيداً عن انتظار الحكمة، بينما الحقيقة أن الحركة بغير الحكمة هي ردّ فعل لا

إرادي ونبض عصبي هو أقرب إلى التشنج منه إلى القصد والفعل الواعي.

وهناك حقيقة مطلقة يجب أن نقر بها هي: أن الشدّ والجذب هو صراع أفكار في عقول الناس وقلوبهم، وأن ممارسته لا يمكن إدارتها بأي وسيلة من وسائل الإجبار.

إن واشنطن تعتبر أن مؤسساتها السياسية والاقتصادية هي التي تحدد الدور الفعّال والأوحد للعالم. كما أنها تصّر على أن تصبح الثقافة الأميركية هي المرجعية المطلقة، ووسيلة من وسائل الإجبار لتحديد معايير الذوق والفن في كل أنحاء العالم. هذه المنهجية أو الاستراتيجية لا تصنع بالإلهام والنزوة ولا تتقرر بقيام حكم أو سقوط حكم ولا يؤثر فيها أن يذهب رئيس وأن يأتي آخر، فالاستراتيجية الحقيقية الناجحة هي في أن تنجح الجغرافيا بتلوين التاريخ بلونها. والأمر الذي يدعو إلى الدهشة والإستغراب أنه في حين يصرّ القادة الأميركيون على اعتبار القرن الحالي قرناً أميركياً بدون منازع، نرى أن السياسيين الأميركيين وكبارهم بالذات تنحصر همومهم في لحظة ما في دائرة ناخبيهم الضيّقة.

إن الولايات المتحدة الأميركية تؤكد ذاتها بطريقة عدوانية، وإن الديموقراطية التي تتباهى بها مصابة بجنون استبدادي حاد.

فواشنطن التي ترفع صوتها وتشرع قوانينها وأحكامها

كما تتصورها ثم تزعم أنها تصلح للكرة الأرضية كلها، تفرض وتأمر وتقرر وتستملك من دون اعتبار لأشخاص وبلدان أو لقوة أو قيم، ولا تملك في مواجهة هؤلاء إلّا التهديد بالقوة عن طريق الحصار أو بحرب إقتصادية كاسحة.

إن تعداد سكان الولايات المتحدة يبلغ حوالى 300 مليون نسمة أي ما يعادل 4،5 بالمائة من سكان العالم في حين أنهم يملكون 30 بالمائة من ثروات العالم. إن من السمات الأصلية للأميركيين الضراوة والصلف والأنانية، إنها السمات الدقيقة الواضحة لهذا الوجه الأميركي وهي سمات بشعة بلا ريب. وإن جرى رسم القناع على التوالي بألوان الطيبة والتسامح والتضامن، إلّا أنها سياسة مجازفة بقدر ما هي جامدة. فيها الكثير من التشويق ولكنها مثيرة للجدل، وتحتقر صيحات الآخرين المطالبة باحترام حقوقهم مع تيقّظ لحركات من هنا أو من هناك، أحياناً متطرفة في خطابها متوترة الأعصاب، وأحياناً معتدلة في خطابها وسط نشوة التعصب والهيجان الدموي.

إنها البرهان الحاسم على التباهي بالقوة الزمنية المتعجرفة. تقوم سياستها على القوة فقط وعلى منطق القوة ليس إلّا. وتعيش منقسمة بين رغباتها وجرائمها. فهي تريد، وإذا ما شاءت تحقيق إرادتها لا بد لها من أن

تبطش بدون هوادة، كمن يجمع الرغبة مع الجريمة. ولا يهمها المزيد من الدماء ولا الكثير من الدموع. يهمها فقط مصالحها ومن بعدها الطوفان.

إن واشنطن قد جعلت من نفسها شرطياً على العالم، ومع ذلك تتشدق وتتغنى بالديموقراطية. لقد قال في ذلك الرئيس الفرنسي الراحل شارل يغول: "إن النظام في الولايات المتحدة يشّكل سلطة تقودها حفنة من الذين يدعمون منطق القوة وخيار الترهيب والقمع للحفاظ على مواقع المصالح الأميركية، وكل ذلك بحجة المحافظة على الإستقرار ومناهضة المشاريع المعترضة للمصالح الأميركية أو المعارضة لها ".

وفي ضوء استعصاء حلّ بعض الخلافات بسبب الإنحياز الأميركي إلى مصالحهم على حساب مصالح الآخرين _ لا بل وعلى وجود الآخرين، نراهم ينتهجون سياسة ما يسمونه السلام بالقوة على نحو يصعب فهمه على العالم الآخر ويصعب فهم آثاره على حياتهم هم أنفسهم. وهكذا تحولت في السياسية الأميركية العقلانية إلى ديماغوجية والتقدمية إلى شعار عليل فَقَدَ مصداقيته أمام الأزمة الشاملة التي تعصف بالنظام العالمي. وهكذا تسعى واشنطن إلى أن يفقد العالم، كل ما سواها من العالم، ما تبقى من مقومات وجوده. وتسعى جاهدة

لتعميق القطيعة بين شعوب العالم ودولها وحتى مجتمعاتها بهدف مسخ الهوية واستلاب الذات عندها.

ومن البديهي القول إنه لا يوجد معقل في الوجود، مهما بلغب درجة تحصنه ومناعته، يمكن أن يبقى بمنأى عن السقوط، لأن الأعمال تعود بنتائجها إلى مطلقها وإلى دافعها ومحرّكها، فإن كان خيراً ستعود عليه وإن كان شراً فالشرّ مردّه إليه.

إن الطبيعة بحد ذاتها لها قوانين ونظم يلاحظها كل ذي عقل نيِّر. وهذه الطبيعة لا تستمد قيمتها إلّا من كيفية تعامل الإنسان معها. وإن كل نظام _ مهما كان لونه _ له بداية ولا بد من أن تكون له نهاية أيضاً. لقد سئم الناس من أعمال الساسة الأمركيين وأفعالهم وأفكارهم.

أعمالهم أعمال إثم وأفعالهم أفعال ظلم يحملونها في أيديهم إلى أية وجهة شاؤوا، وأفكارهم أفكار مجرمة، ثم أن سلوكهم ممره دروب الشّر ولا يملكون إلا الجري وراء سفك الدماء.

أميركا... ومنطق القوة

هل يدرك الذين يروّجون لإستخدام القوة بأن السياسة القائمة على القوة قد تنجح في قلب موازين الحكم وقد تبدل سلطة بسلطة أو قد تطيح بنظام كامل، ولكنها لن تنجح بالفعل في إقرار السلام.. كما أنه ربما كانت عواقبها عكس ما يبتغيه جماعة العنف والقوة؟.

وهل يدرك أنصار القوة العسكرية أنه غالباً ما يقع السيف من أيدينا، وتنطفئ مصابيحنا...بعد أن ضاعفنا المظالم التي ألحقناها بالآخرين وأغلبهم من الأبرياء؟

وفي الواقع أن الحرب هي خيار ألّا ربح وخسارة الجميع.

ما معنى إستخدام القوة خاصة إذا جرى تعمد ذلك من أجل تحقيق أهداف معينة؟ وما معنى أن يتولى من يمتلك أسباب القوة معاقبة الآخرين لأنهم لم ينصاعوا بالكامل لمشيئة مخطّطاته ومصالحه؟

وفي الواقع إن منطق القوة الذي يؤمنون به أو يعتمدون عليه مآله تدمير الذات في نهاية المطاف....

فالحرب ليست ممتعة البتة كما أنها رحلة في

المجهول. وما يجري في كل من العراق، وأفغانستان ليس إلا الدليل الحسي الدافع على ما نقول...

وفي مطلق الاحوال من دون تسوية سلمية، وحوار سوي وعادل لا يمكن لإي شيء أن يحول أو أن يقف في وجه جاذبية الكارثة التي يحدثها منطق القوة...

عندما يسمعون صيحات السلام ينكمشون كراهية لإنهم يرفضون منطق البحث فيه، ولا تعوزهم الذرائع لتبرير رفضهم ووضع المسؤولية في ذلك على الآخرين...

يعتبرون حقوق الآخرين وبالذات المستضعفين بينهم، خرافة ذات أبعاد معينة. هم يعتبرونها ذاتية وعابرة، بينما أصحابها يتوقفون عندها لإنها بالنسبة إليهم هي ذات أبعاد مصيرية، وتتعلق بمستقبل وجودهم المادي من عدمه.

يقولون من هم هؤلاء حتى يحتجون على كراهيتنا لهم؟ ويرون دائماً في وجوه البسطاء شراً خطيراً يتهددهم.

الشيء الغريب أو ربما يكون الأخطر أن بعض شعوب هذه الأنظمة الجائرة توافق موافقة العبيد على أفعال حكوماتها وعلى منطلقاتها تجاه العرب، وبقية دول العالم.

إننا أمام أنظمة جعلتنا نخلق أوثاناً نتعبد لها... جماعة تدعي محاربة الإستعباد، ولكنها ما أن تنجح بإزاحة سلطة الإستعباد حتى تمارسه هي بدورها، وبتفنن أكثر وإثارة أخطر.

والشيء المزعج والمؤسف معاً أن العقل المتغطرس

في معسكر القوة يكره وجود أي قنبلة لا تكون في ترسانته.

وفات أنصار استخدام القوة أن كبار المفكرين الأستراتيجيين يؤكدون على الدوام بأن خير وسيلة لكسب الحرب هي عدم شنها.

لماذا؟ لإن الحروب كل الحروب هي محنة إنسانية تضيع فيها القيم، وتغيب عنها الأخلاق ويحل فيها الدمار والخراب والدماء والدموع..

إنهم ينظرون من علٍ ويستمتعون بمناظر الحرائق ويتلذذون بالإنتقام..

إن مثل هذه الأنظمة هي نسخ رعناء غير مستقرة عن فاشية جديدة، وأقلية عسكرية تدعي القيم وهي جاهلة بمعنى القيم. تقول بالمعاني الكبيرة وهي عاجزة عن تفسير هذه المعاني. وعلى كل حال علمتنا تجارب التاريخ أن الهر يظل هراً ويستحيل أن يصبح فأراً، إلا أنه كما للفأر نهاية فللهر نهاية أيضاً.

ولماذا نذهب بعيداً؟ أليست البلدان وبالذت الصغيرة منها من يجري تحريكها على رقعة شطرنج يُلعب بها وعليها لعبة كبرى للسيطرة على العالم؟...

ما أسواء أولئك الذين افتُضح أمرهم وهم يبررون الجرائم بتقديم الضحايا على أنها " إرهاب" دون أن يعيروا أهمية للأسماء، والوجوه، والتواريخ، أو أنها

الخسائر التي لا مفر من وقوعها قرابين على مذبح المبادئ الأخلاقية التي يدعون تعميمها..!؟

لقد سيطروا على وسائل الإعلام في العالم وراحوا يبررون كل جرائمهم... والإعلام هو اليوم أساس وعصب كل عمل: السياسة عبر الإعلام، الحرب عبر الإعلام، الحقيقة عبر الإعلام، العدالة عبرالإعلام، وأيضاً الفرح والحزن عبر الإعلام.

وإننا نلاحظ أن الإمبريالية الأميركية قد ضّلت طريق العدالة، وبلغت مداها في أعمال الشر، وأخذت بحكم طبيعة الأشياء تظهر عليها بوادر التحلل والسقوط.

ونلاحظ أن السلوك الأميركي يغلّب المصالح الذاتية على القيم العامة الجوهرية. وعلى الرغم من كون أميركا هي: "القوة المهيمنة "... فإنها في الواقع تخشى على مصالحها من النتائج المحتملة لقيام ديموقراطية حقيقية في الدول العربية..

الإدارة الأميركية ترفع الشعارات وتنادي بالديموقراطية للآخرين، ولكن أية ديموقراطية؟.. إنها المصالح الأميركية أولاً، والأنانية الأميركية في نهاية المطاف.

وهكذا نرى أن الأميركيين قرروا بأن كل الوسائل مباحة لمحاربة خصومهم أو حتى الذين يقفون بوجه تحقيق مصالحهم مهما كانت...

إن إعلان الولايات المتحدة الأميركية بأن لها الحق في شن حرب إستباقية واستعمال هذا " الحق " كأساس

منطقي لغزوها العراق وتهديدها كل بلد لا يماشي سياستها القائمة على التسليم بحقها في السيادة على الجميع، قد ينتهي بها الأمر إلى إغراق العلاقات الدولية في عصر جديد من التلاعب بالقانونين الدولي والخاص. . .

من هنا قد يصبح إعتداء بلد ما على بلد آخر أمراً مبرراً كتدبير إحترازي، بحجة الدفاع عن النفس من خطر تهديدات مستقبلية ممكنة أو محتملة. !!

إن هذا النهج يفتح باب تطوير وإنتشار الأسلحة الجديدة للوصول إلى ما هو أخطر من الحروب حيث سيكون بإستطاعة بعض البلدان تدمير وإلغاء شعوب بأكملها من على وجه الأرض، أو جعل ربما قارات بأسرها غير صالحة للحياة بصورة مفاجئة وعنيفة. . ومن غير المستبعد عندئذ أن يقع الإنسان المحارب فريسة نفسه حتى في زمن السلام.

وإزاء ما نلاحظه من تصرفات وعنجهية في السياسة الأميركية قد تراودنا أفكارمن نوع أنه هل يمكن إعتبار العراق المعركة الأولى في الحرب العالمية الرابعة؟!.

ورداً على تساؤلنا هذا. . ستكون الأستجابة كبيرة في احتدام التنافس على ما تبقى من موارد أساسية في العالم (وبالأخص النفط والغاز الطبيعي، ولاحقاً المياه) ما يؤدي في أسوأ السيناريوهات إلى تدمير شامل للحضارة البشرية ولمعظم البيئة التي تقوم عليها الحياة في كوكبنا الأرضي.

إنه مشهد ترتعد له الفرائص، وأن ثمة في الحقيقة

الكثير مما يدل على إحتمال وقوعه. ولا بد لنا من الإشارة إلى أن مذهب المحافظين الجدد في الولايات المتحدة هو نِتاج فكر ليو شتراوس (1899-1973) وهو عالم يهودي فرّ من المانيا ودرس علم السياسة في جامعة شيكاغو وكان يؤيد بصورة كاملة منهج ميكيافيلي في الحكم. من مقولاته: "إن على الزعيم أن يخدع باستمرار من يحكم... وأن القادة لا يحاسبون في إطار نظام أخلاقي شامل..."

ويروج لفكرته القائلة بوجوب أن يتمتع الأعلى بحق مطلق في حكم الأدنى.. كما يدعو إلى كبت العلمانية في المجتمع لأنها ترتكز إلى التفكير النقدي و منطق المعارضة... ويؤكد على قناعته بأن الدين هو القوة التي تشّد أزر المجتمع.. وبالتالي فهو الأداة التي يستطيع بواسطتها الحاكم التلاعب بالجماهير، ويدعي بأن (أي دين ينفع لهذه الغاية).

ويؤكد ليو شتراوس على نظريته بأنه لا يمكن لأي نظام سياسي أن يستقر إلا إذا توحد ضد تهديد خارجي. ويذهب إلى حد القول بأنه إذا لم يكن هناك من تهديد خارجي فيجب على قادة النظام إختلاق هذا التهديد..

هذا هو المنهج الذي يعمل بموجبه الحكم في واشنطن والذي يصح فيه القول إنه نهج قد ولد من رحم الخيبات.

إنهم في الولايات المتحدة متلهفون لأن يغدوا أوحدين في العالم.

وأنهم يعيشون حالات من الإرتياب نتيجة ما يتلبسهم من ظنون عن ما يضمره العالم لهم من نوايا عدوانية بسبب معرفتهم الحقيقية بما ارتكبوا من جرائم، وأثام بحق الجميع.

وفي الواقع إن العراق كان كتلة العقد في أجندة المحافظين الجُدد، إذ استحال مقبرة لحظوظهم السياسية.

إن المحافظين الجُدد الذين كان يدعمهم تشيني، ويقوي من نفوذهم رامسفيلد، ويقودهم المستشار الخارجي ريتشارد بيرل، ونائب وزيرالدفاع بول ولفوفتيز قد جاؤوا ومعهم أجندة جاهزة لعالم ما بعد 11 ايلول، فضغطوا باتجاه حرب إستباقية على العراق، وفي سبيل خلق شرق أوسط جديد بقوة الحديد والنار.

وفي حين أن الأحلام لا تموت بسهولة لكن أحلامهم ماتت وشبعت موتاً. إنهم يسيرون دوماً إلى جانب المظالم في المسيرة الإنسانية، في حين يركز العالم من محبي العدالة على الجانب المضيء فيها..

لقد صدق من قال إن المجتمع الأميركي لا يزال قائماً على جميع التناقضات والتي لن يتم صهرها إلا بمنطق القوة ومن خلال القوة، ومن أجل القوة...

وفات من بيدهم السلطة في الولايات المتحدة: أن الإنسان في مطلق الأحوال لا يستشعر متعة الإنتصار في

قضية ما إلا إذا كانت تلك هي قضيته التي ناضل من أجلها، وأوقف حياته للدفاع عنها، مسخراً كل الإمكانات والوسائل والقدرات لجعلها واقعاً راسخاً في أعماق القلوب، وفي ثنايا العقول، لتتحول بعد ذلك إلى أفعال مفيدة في معالم الواقع البائس ومن أجل مصلحة هذه القضية ورسالتها... بعكس ما يفعله الأميركيون الذين يسعون لإخضاع العالم بأسره لمشيئتهم وهم سائرون في دروب الظلم والعدوان.

لقد تحولوا إلى جماعة فاسقة وفاجرة يختنق في داخلهم إعجابهم بأنفسهم بحيث لا يرون في العالم أحداً سواهم ومن لا يتبعهم فهو في دائرة الشر، والذي يؤيد مزاعمهم هو مثال الديموقراطية والحرية!؟.

إن الرسالة السياسية مصنوعة على مواصفات بالنسبة للولايات المتحدة، يهمها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة.

إنهم يمثلون حكاية الشيطان الساذج الذي لا يملك من أمره شيئاً لأنه يعيش في داخل ذاته ويتحرك من خلال الشياطين الذين يحيطون به في إدارته ويطلقون طاقة الشر في العالم باسمه.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الحرب ليست فعلاً بين النصر والهزيمة ولكنها فعل بين الموت وفرض الموت على الآخرين، إنها تمثل الإخفاق الكامل للروح الإنسانية.

الولايات المتحدة الأميركية

قوة غاشمة.. وانحياز مطلق لإسرائيل

دائماً نتجاهل التاريخ ولا نريد أن نقرأه أو أن نستحضره خاصة إذا ما أدركنا مكنوناته.

ألم يكن العرب من بين أوائل العلماء في بداية الألفية الثانية حين كان الصليبيون غزاة العالم الإسلامي يعيشون في جهل مطبق؟.

إن غزوات الزمن الغابر وقرارات ذلك الوقت قد دمرت منابع الفكر والمعرفة. والسؤال المطروح الآن: ماذا لو وصلت هذه القوى المدمرة إلى طريق مسدود؟ وماذا لو تبين أن السبيل الذي تستند إليه العديد من الدول القابضة على القرار الآن ما هو إلا سراب؟..

ولماذا لا نتوقف عند حقيقة تاريخية ثابتة، هي أن السياسات الأوصولية الإسلامية كما نراها في حالتها الحاضرة تشكل تعبيراً صارخاً ودموياً عن الواقع الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط اليوم...

ويفاقم من حدة ذلك إنحياز الولايات التحدة الأميركية باستمرار إلى جانب إسرائيل ظالمة كانت أم

مظلومة... وتبدو أي الولايات المتحدة وكأنها لا تملك سوى إحداثيات إفتراضية لإقرار سلام توشك أن تجعله أكثر تعقيداً أو أكثر نزوعاً نحو السراب وهذا ما جرى ويجري إختباره في فلسطين...

وهكذا، إذا ما سقط جندي إسرائيلي قتيلاً على يد مقاوم عربي يكون في نظر واشنطن "إرهاباً موصوفاً "، وإذا ما قتلت إسرائيل طفلاً أو شيخاً أو امرأة فلسطينية فإن ذلك في المنطق الأميركي هو دفاع عن النفس...

بات على الأميركيين فرك الأعين وإمعان النظر للتأكد من حقيقة ما يحصل...وفوق كل ما تحصده آلة التدمير الأميركية -الإسرائيلية يتساءلون لماذا يكرهوننا في الشرق الأوسط العربي والإسلامي وأيضاً في العالم؟

في الحقيقة إننا لا نكره الشعب الأميركي على الأطلاق وإنما نكره سياسة الحكومات الأميركية... نتألم من الإنحياز الأعمى ضدنا... نتوجع من النظر بعين واحدة إلى شتى الأمور والقضايا...

وعندما نقرأ ما يقوله أصحاب الشأن في واشنطن تُذهل عقولنا. يكتبون أنه يتوجب على الولايات المتحدة الأميركية أن تطوّر أسلحة فتاكة تتخذ من الفضاء قواعد لها وتُتيح لها توجيه ضربات بالغة الدقة من الفضاء إلى الفضاء ومن الفضاء إلى الأرض.

وستكون مثل هذه القوة مطلوبة في نظر الإستخبارات الأميركية والقيادة الفضائية الأميركية لمواجهة تداعيات عولمة الاقتصاد. لأن " عولمة الاقتصاد " كما يعتقدون سوف تفضي إلى فجوة إقتصادية كبيرة وركود إقتصادي متفاقم وعدم استقرار سياسي واغتراب ثقافي مما سيثير الإضطراب والعنف في صفوف الفقراء والمعدمين وسيكون في معظمه موجهاً ضد الولايات المتحدة الأميركية.

ويهمنا أن نتوقف هنا عند ما كتبه نعوم تشومسكي في كتابه "الدولة الفاشلة " : "علينا أن ننظر في المرآة بمنتهى الصدق فإذا ما فعلنا ذلك فلن نجد صعوبة في العثور على خصائص وصفات الدولة الفاشلة في عقر دارنا ".

وكتب نعوم تشومسكي أيضاً: "إن المسلمين لا يكرهون حرياتنا بقدر ما يكرهون سياستنا ".

حتى (صندوق النقد الدولي) يتصرف بتوجيه من واشنطن إتجاه البلدان الأخرى كمروِّج لسياسات أشاعت الفقر والشقاء في مختلف بلدان العالم...

متى تدرك الولايات المتحدة، أن الخطط الأكثر دقة لا تستطيع مقاومة المفاجآت كما حصل مؤخراً في كل من العراق وأفغانستان..

إننا نرى بأم العين أن سياسة واشنطن تقوم على سياسة الإستنزاف... وسياسة الإنحياز بهدف الهيمنة... إنها تقوم بشكل بارز وعام على تدويل الكذب...

وفات الولايات المتحدة أن الوطن أي وطن أكبر من أن يتبع لشخص أو عائلة أو يأخذ اسمه منهما لأنه الإناء الذي يتسع لكل أبنائه على إختلاف صفاتهم من الصغير إلى الكبير ومن العاجز إلى القوي ومن البليد إلى العبقري..

والحقيقة أنه عندما يصبح الوطن كلمة للمزايدة على أبنائه بغية قهرهم، يتحول أبناؤه إلى عبيد وتابعين وخائفين من الحاكم وعندئذٍ يصبح مثل هذا الوطن، وطن العبيد.

كأن الحرب هي السياسة الخارجية الوحيدة التي توزعها الولايات المتحدة على العالم كما يقول نعوم تشومسكي...

صحيح أن ميكيافيلّي فصل السياسة عن الأخلاق عندما جعلها عِلماً قائماً بذاته...ويعزى له الفضل في تحصين السياسة من المؤثرات الخلقية. لكن أحداً لم يصل إلى تأسيس السياسة على الجريمة والقتل والإبادة وارتكاب المجازر كما تفعل إدارة بوش الأبن.

وبديهي أن نصل إلى نتيجة حاسمة من خلال المسار التاريخي للأحداث، هي أن دور الولايات المتحدة الأميركية في الواقع يعتمد على إستعمال القوة العسكرية لتهذيب الصراعات وإقامة عالم مستقر وآمن لإقتصادهم ومدى حيوياً لثقافتهم.

وأنه لبلوغ هذه الغايات سيرتكبون حزمة من المجازر.

إنهم في صدد إقامة نظام عسكري مؤسس على قواعد إستخباراتية يعنى في إرتكاب المجازر في سبيل السعي لمعرفة أشياء كثيرة وهامة عن أعدائهم أكثر مما يعرفون هم عن أنفسهم.

إن منتهى الخطورة يكمن في تلك الغطرسة التافهة لإدارة المحافظين الجدد... وتهديدهم الدائم للعالم بالقوة العسكرية...

إن الشيء المؤسف الذي يهدد مصير القيم والمثل في المجتمعات البشرية هو ذلك الإنسياب في إطلاق المواصفات "محور الشر مقابل محورنا أي محور الخير" كما يَصِف به الدول الأخرى الرئيس الأميركي جورج دابليو بوش.

إن إدارة بوش الإبن قد باتت لا تقبل حتى النصيحة العابرة. فمن يحاول أن يثني الرئيس الأميركي عن موقف متهور يكون بنظره إنسان مغرض ومتهم بأنه يخالف أوامر الرب. هذا ما حصل فعلاً مع غيرهارد شرودر مستشار المانيا السابق إبان الغزو الأميركي للعراق...

وكأن الحرب بالنسبة لبوش وإدارته لعبة أولاد صغار على شاطئ رملي... حيث دائماً ينادي المنادي هيا يا واشنطن: إلى الحرب.. إلى القتل والدمار..

وماذا عن الحرب؟..

الحرب تعني وجود هدف وعدو ووسائل قتال...

الهدف واضح ووسائل القتال متوفرة...

ويبقى أمامهم فقط إختراع العدو...

والحرب تقضي بحشد كل الطاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية من أجل تحقيق الهدف.

هل هم على حق؟..

نتائج الحرب تحدد لهم أين العدالة وأين الحقيقة....

كم هي بحاجة، الولايات المتحدة الأميركية، إلى عقلنة سياساتها. لأنه عندما نتبنى موقفاً ما علينا أن نعقلن ذرائعنا، أن نعقلن سلوكنا أن نعقلن قوتنا العسكرية المفرطة حتى تكون حركتنا ضمن استراتيجية سليمة.

لكن أمر واشنطن غريب، وكأن قيادتها قد خرجت عن المألوف. فالرئيس جورج دابليو بوش يعتقد أنه محمّل برسالة ورؤيا: رسالة يحاول تعميمها على المجتمع البشري... وويل لمن لا يتلقفها.. ورؤيا يحاول تحقيقها وهو يتلذذ من أجل ذلك باستخدام كل طاقات بلاده العسكرية.

إنه أي الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن، يريد أن يقتحم العالم... أن يقتحم البشرية جمعاء... أن يقتحم حياة الناس.. أن يقنع العالم أجمع أن هناك أموراً مختلفة تماماً عما كان سائد من قبل.

ومع الأسف الشديد هذا الإقتحام يتم بالجيوش..

بالقوة تريد الولايات المتحدة أن تعمم تقاليدها وسلوكها وقيمها على العالم أجمع.

بالقوة تريد الولايات المتحدة أن تتواجد حيث مصالحها... أو إن رغبت في الإضرار بمصالح الغير!!

وتتصرف الولايات المتحدة وفق مقولة هي في عمق عقيدتها: حيث توجد مصالح أميركا يتواجد أمنها.

وتنطلق من إعتبار الأمن وحده أو الأمن فقط. وبالطبع أمنها بالذات وليس أمن سواها..

... هكذا وبكل بساطة كانت النتيجة أن وقف الرئيس الأميركي جورج دابليو بوش على هضاب من الغبار يحصد الخيبات ويتهاوى كنمر من ورق... وهكذا كانت محصلة تصرفاته، التي عادت عليه بالسؤ وعلى العالم بخسائر فادحة وعلى بلاده بضباب الأساطير والغيبيات.!؟

لقد أمتهن بوش اللغة الخطابية الغوغائية... وتحولت لغته ولغة مساعديه في الحوار السياسي إلى لغة خشنة، حادة وقاسية.

لقد ادعى الرئيس بوش أنه يريد تعميم الديموقراطية وإذا به يمس مكنوناتها حتى داخل الولايات المتحدة نفسها.

زعم أنه يريد مساعدة طلاب الحرية وإذا به يصادر ما لدى هؤلاء من حريات..

الفقراء الذين كان يذكرهم في عظاته البلاغية، كان هو السبب في إزدياد أعدادهم أكثر فأكثر.

ولا تزال ذرائعه ومعه أركان حكمه بطروحاتهم السياسية والثقافية والاجتماعية ماثلة في الإذهان... ولكنها تبدو قاتمة مظلمة باهته وممجوجة عند الغالبية العظمى من بني البشر.

وكم شعر العالم بالإحباط عندما لمس بالدليل القاطع أن الولايات المتحدة قد أضعفت دولة القانون حيث استطاعت إلى ذلك سبيلاً... واستهانت بالإرادة الجماعية للعديد من المجتمعات ومن منظمات المجتمع الدولي نفسه، كما حاولت وفعلت حيث تمكنت من حرمان الناس من التحكم الحر بمصائرهم.

إن الإدارة الأميركية بتصرفاتها هي العدو اللدود للدولة وللنظام العام. وهي التي تشهد بالقانون، تدعوا إلى الحرية الفالتة من كل عقال... وتصر على حريتها الذاتية في قتل الناس ونهب ثروات العالم...

إن الأيديولوجية الأميركية المدعومة يومياً من قبل مجمّعها الإعلامي وعبر ضجيجها المتواصل وانفلاتها من كل عقال... تكاد تخترق نواة إرثنا الثقافي...

وكم هو مهم في هذا المجال قول فوليتر: "ما أظلم الإنسان، إنه يجد دائماً مالاً لتعبئة الجيوش وإرسالها إلى الحرب لتقتل الناس ويضّن بالمال على الناس لإنقاذهم من الموت".

السلطة والمال

المحافظون الجدد:

إستعادة لفكر مائير روتشيلد

قد يزعم البعض أننا نفرط في تحليلنا لمجريات الأمور أو أننا من عشاق نظرية المؤامرة التي يرفضها البعض ويؤيدها آخرون.

لقد أصبح بمقدورنا الآن أن نقرأ في التطورات التي تشهدها أميركا تحت وطأة زلزال الأزمة المالية فيها، مجرى النبؤات البوشية التي راحت تطحنها مجريات الأحداث التي تملأ أخبارها الصحف اليومية.

هذه هي إحدى تداعيات الفكر الديني والسياسي لقادة ومفكري أميركا الذين يتحكمون في القرار السياسي والعسكري لأكبر وأقوى دولة في العالم.

ونحن العرب أكثر من غيرنا نعاني من هلوسات وهمجية تلك السياسة المبنية على التنبؤات العقيمة لإدارة جورج دابليو بوش.

لقد أصبح بالنسبة للأمركيين وفق ما تبثه إدارتهم من

ثقافة ومواقف: أن كل ما تفعله إسرائيل من غزو وقتل وإبادة كأنه جزء من توجيهات الرب وتحقيقاً لما جاء حسب مزاعمهم في نبؤات العهد القديم.

وحسب معتقدات هؤلاء المبشرين: "إن لله مخططين من الناس يتعامل معهم، وأن إسرائيل كانت مملكة الله على الأرض، وأن الكنيسة "كنيستهم" كانت مملكة الله في السماء...

لقد أطلق الكثير من المبشرين العنان لمقولتهم عن الحقيقة التي تقول: " أن العلاقة الحميمة بين أميركا ودولة إسرائيل تجد أساسها في الدين أي في ما جاء في التوراة والإنجيل من نبؤات حول المجيء الثاني للمسيح وشعب الله المختار ومعركة "هرمجدون" الثورية.

لقد ظهرت الطائفة الإنجيلية الأصولية في القرن الماضي بعدما أمسكت بمقاطع من الإنجيل تتحدث عن نبؤات آخر الزمان وبالتحديد في سفر الرؤيا، وهي التي تتحدث تحديداً عن معركة آخر الزمان وتسمى بالـ: "هرمجدون".

وهذا يذكرنا بنظرية مائير روتشيلد عام 1773م التي تقوم على إذكاء نار الشر والإرهاب لحل أي خلافات بين الطوائف المختلفة في البلدان المراد القضاء على أنظمة الحكم فيها...

وعلل روتشيلد ذلك بأن المجتمع البدائي الأول كان

يخضع للقوة العمياء التي أطلق عليها فيما بعد إسم "القانون" وقال في صلب نظريته: إن الحق هو القوة".

ودعا روتشيلد إلى الإستيلاء على عقول الجماهير بالدعوة إلى الحرية السياسية حتى إذا ما آمنت الجماهير بتلك الفكرة قبلت التنازل عن بعض امتيازاتها وحقوقها دفاعاً عن الفكر وبذلك يسهل على الثوار الإستيلاء على حقوق الشعوب الأخرى.

لقد دعا روتشيلد إلى استعمال فكرة الحرية لإثارة النزعات الطبقية داخل المجتمع والإستيلاء على مقاليد الحكم واستبدال الدين بالحرية...

كما أعلن مائير روتشيلد: "أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن الحكم الذي يحكم بموجب القواعد الخلقية ماحل "، وأضاف: "يجب على الذين يرغبون في السلطة أن يلجأوا إلى الدسائس والخداع والتلفيق لأن الفضائل الاجتماعية الكبرى، كالصدق والاستقامة ماهي إلا عيوب كبرى في السياسة ".

ولقد حذر روتشيلد أعضاء منظمته قائلاً: " يجب أن تظل سلطتنا الناجمة عن سيطرتنا على المال خفية عن أعين المجتمع حتى يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه السلطة إلى درجة من القوة يستحيل معها على أية قوة أخرى أن تشكل خطراً عليها ".

ثم طرح مائير روتشيلد جوهر نظريته فأعلن أنه "على

جماعة المؤامرة الحاضرين بيننا أن يعملوا على إثارة الحروب دائماً كما أن يسيطروا ويوجهوا محادثات السلام التي تعقب الحروب بشكل يتم الاتفاق فيها على أن لا يحصل أي من الفريقين المتنازعين على مكاسب سياسية".

وتقوم نظريته على إثارة الحروب بين الشعوب وعلى إنهاك الأمم المتورطة فيها وإضعافها ونهب ثرواتها بعد إيقاعها في دوامة الديون والقروض.

ودعا إلى السيطرة على الشباب عبر التسلل إلى كل طبقات الشعب ومختلف الشرائح في المجتمع، ومن خلال خداع عقول الشباب وإفسادها عن طريق النظريات الخاطئة.

وركز مائير روتشيلد على أهمية الثروات واعتبر السيطرة عليها أهم من الجلوس على كرسي الحكم.... فقال: " اسمحوا لي أن أسيطر على مال الأمة ولا يهيمن بعد ذلك من يصنع القوانين".

هذا الإستعراض لبعض الماضي يجعلنا نتأكد أن ما حدث قديماً نعيشه حديثاً..

وبذلك نعود إلى القاعدة الذهبية في علم السياسة والإجتماع: إذا أردت أن تفهم ما يحدث وتستوعب ما يجري، فما عليك إلا أن تعرف ما قد مضى وانقضى في الماضي البعيد لتدرك الحاضر والمستقبل القريب.

هكذا أدرك مؤسسو الدولة الأميركية منذ البداية خطر

اليهود على أميركا. فقال بنيامين فرانكلين متوجهاً إلى الأميركيين: " أنتم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً وبموجب القانون فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم".

كما ذكّر نابليون بجرائم اليهود في المجلس الأمبراطوري حين قال: " يجب ألا ننظر إلى اليهود كعنصر مميز بل كغرباء. وسيكون إذلالاً لنا أن نحكم بهؤلاء وهم أذل شعب على وجه الأرض".

ولا غرابة فيما نقول أو فيما نشير إليه. ألم يؤمن أتباع شتراوس وهو أحد أعمدة منظري المسيحيين الجدد بأن المجتمع يحتاج إلى نخبة من الفلاسفة والمفكرين تنتج " الكذب النبيل" للإستهلاك الجماهيري؟.

لقد كان شتراوس يردد: "بأنه ينبغي على المقربين من الحاكم استخدام الخداع، وعندما يصبحون في موقع التأثير سيكون بإمكانهم التقدم نحو تحقيق الأهداف عبر الهمس بمعتقداتهم في أذن الحكام؟".

وهكذا دخلت الذاتية مع الموضوعية في تشكيل أحد ميادين عمل المحافظين الجدد الذين اتبعوا أسلوب العمل من وراء الكواليس مشكلين قوة ضغط فاعلة.

إن تأثير المحافظين الجدد في المجتمع الأميركي يعود لسببين أساسيين: الأول يكمن في أنه مجتمع مهاجرين والثاني أنه مجتمع متنوع.

فالمجتمع المتنوع يعيش في معظم الأحيان حالة قلق الهوية وغياب القواسم المشتركة في شتى متفرعاتها.

وهذا ما جعلنا نستنتج في أكثر من مكان في سياق هذا الكتاب بأن الولايات المتحدة لم تتحول إلى وطن بكل ما تعني هذه الكلمة من مدلولات... وإنما هي تشكل موطناً للمقيمين فيها...

وإذا ما تعمقنا في البحث والتحليل يتراءى لنا أن المواطن الأميركي لا يشعر عموماً بأن السياسة الخارجية تعكس هويته الثقافية أو تعكس رؤيته لذاته بالمقارنة مع الثقافات الأخرى.

وبسبب هذه التراكمات كلها أو بعضها حل التفوق التكنولوجي مكان الثقافة والتاريخ في عملية بناء الرابط الإنتمائي بين المواطن وأرضه وهويته كأميركي.

إن الصراع في الولايات المتحدة يدور بين المحافظين الجدد الداعين إلى الأمبراطورية الأميركية وإلى فرض الهيمنة على العالم بأي ثمن حتى ولو كان ثمن ذلك الدمار والدماء... وبين المدرسة الواقعية التي تدعوا إلى الإبتعاد عن الفكر الأمبراطوري.... والتخلي عن أسلوب الهيمنة الكاملة... وتتبنى هذه المدرسة شعار الدورالقيادي لأميركيا.

لقد كان لدى المحافظين الجدد في الولايات المتحدة ميل دائم إلى التصلب في شتى المجالات... والجدير

ذكره أنهم عندما يمارسون السياسة الخارجية إنما يفعلون ذلك بعقلية التاجر الجشع. . .

من هنا أضحت الولايات المتحدة وكأنها تعاني من مرض اسمه معاداة الآخرين لها كما جعلت سياسة قادتها معظم العالم يعاني بدوره من مرض اسمه الولايات المتحدة الأميريكية.

فحسب معادلة المنطق لدى المحافظين الجدد: يتحول الحلفاء إلى ممانعين والناصحين إلى أتباع. . والمعارضين إلى أعداء يجب سحقهم.

وأن السعي إلى فرض الهيمنة الأميركية على العالم بالقوة العسكرية سيتحول حكماً في لحظة ما إلى داء خطير يأكل أميركا من الداخل.

كيف لا وأن الاعتقاد السائد لدى المحافظين الجدد لا يقوم على مبدأ احترام المجتمعات الأخرى. . . . إنما تحركه مسلمات وغرائز تدعي إمتلاك الحقيقة في كل شيء وهي تملك القوة لغرض ما تشاء.

لقد فات هؤلاء أنه ليس من المهم إمتلاك القوة العسكرية والتصرف بحرية في استخدامها ولكن الأهم من ذلك هو معرفة كيفية التصرف بهذه القوة ما يحفظ وجود البشرية وتقدمها الحضاري. لأن الإستخدام المفرط للقوة سيقابله استخدام مشابه وسباق محموم في التسلح سيقود حتماً إلى كوارث لن تنجو منها الولايات المتحدة نفسها.

إنهم ممتلؤن بروح الإستعلاء والغطرسة، حتى مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة قد دعت إلى التعامل مع الولايات المتحدة على أساس أنها الأمة " الضرورية " وأنها الأعلى هامة وبسبب ذلك يجب أن تقود وأن تكون لها الكلمة الفصل.

وهكذا يعمل المحافظون الجدد لكي تتربع الولايات المتحدة الأميركية على قمة نظام دولي بقطب واحد أبداً يتحكم بمجريات الأمور ويفرض مشيئته وقيمه ويتفرد بصياغة قوانينه.

الولايات المتحدة الأميركية
بين الطموح والجنون

إن الولايات المتحدة الأميركية على الرغم من أنها مهووسة بقوتها غير أنها قلقة للغاية على أمنها الخاص. لقد وجدت نفسها على الرغم من كل المقدرات العسكرية التي تمتلكها في عزلة تامة، فهي من جهة مشبعة بذهنية القوة الأكبر في العالم، لكنها أيضاً تنوء تحت أثقال ضغوطات الأمن الذاتي.

كما أنها تشعر بعداء المجتمع الدولي لها. وتلاحظ أن أعداءها يتكاثرون وتخشى أن تفقد هيبتها وأيضاً نفوذها السياسي.

فالذين يهددون الأمن في الولايات المتحدة الأميركية هم في الواقع أضعف منها بكثير، ولكنها تخشاهم ولا تعرف كيف تواجههم وهي القوة العظمى عسكرياً واقتصادياً وسياسياً بقدراتها المفرطة والمتزايدة.

غير أنها لم تكلِّف نفسها عناء البحث عن سبب الكراهية التي تواجهها في جميع أمكنة العالم.

وبدلاً من أن تستخدم نفوذها في إيجاد مجتمع عالمي

تسوده العدالة والسلام، عمدت إلى التسبب في إنتشار الفوضى في كل مكان، إنها ترفض القيادة العالمية حيث إنها راغبة وبكل تصميم بفرض التسلط والهيمنة.

قد تقضي القيادة أحياناً وربما غالباً بدفع ثمن غالٍ وبتقديم تضحيات كبرى، بينما الهيمنة تؤدي إلى مصادرة ثروات الآخرين، وتطبيق القول العام: ما لنا لنا، وما لهم لنا، ثم لهم.

هذا المارد الكبير المتشرب كل العنجهية بقوته المفرطة يعيش في خوف مستمر، وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن الأقوياء إذا ما بالغوا في هواجس الخوف والحذر والشك تؤدي بهم هذه الحالة إلى الوقوع في أيدي خصومهم مهما كانوا ضعفاء، خاصة وأن القوي متى انزلق شيئاً فشيئاً في ردود أفعاله المذعورة لا بد له من أن يتحول من حيث لا يدري إلى رهينة بيد الضعيف.

على أميركا أن تستشعر الخطر وتخشاه إذا ما تمادت في تصرفاتها المقلقة. والغريب في هذا الواقع أن الولايات المتحدة الأميركية تمارس هيمنتها العالمية من خلال ديموقراطية أميركة، الأمر الذي يتناقض مع أبسط قواعد النظام الديموقراطي، لأن ذلك يؤدي إلى كارثة فعلية بالنسبة للخطط الأميركية حيث إن ضرورات الهيمنة تتعارض بشكل أساسي مع مزايات الديموقراطية، خصوصاً وأنها ماضية في الإمعان بتصديع حقوق الإنسان وبالذات

الحقوق المدنية. كما أن منطق الهيمنة عندما يرتكز على مسببات الأمن القومي قد يفضي إلى استخدام الضربات الوقائية وهذا الأسلوب هو غاية في العدوانية، ومخالفاً لمبدأ العدالة.

وإذا ما تعمقّنا أكثر فإننا نرى أن سياسة الهيمنة الأميركية سوف تؤدي إلى تهديد الديموقراطية في أميركا نفسها، إذ لا يصح أن يكون النظام ديموقراطياً هنا، ومعادياً للديموقراطيات في الخارج، حيث إن من المسلّم به على الإطلاق أن الهيمنة هي بالفعل نقيض النظام الديموقراطي.

والمسلّم به أيضاً أن الديموقراطية هي ممارسة وليست معرفة فقط، وأن تقبل بها لك ولغيرك، لا أن تجتزئ منها ما يروق لك وتفرض على سواك ما يلائمك ذاتياً. فالديموقراطية مثل الحقيقة علينا أن نعيشها لا أن نعرفها فقط.

وهذا ما يجعلنا نتساءل إلى أين؟ وماذا بعد؟ وكلنا يعرف أن الإنسان متى جاع إما أن يثور غير مكترث بالنتائج، وإما أن يتحول إلى عبدٍ للرغيف.

لا أحد يرسم حدود العنف والثورات، كما أن المستسلم لمتطلبات معدته يفقد حريته. ومن أجل ذلك وحرصاً على الإستقرار وإنقاذاً للحرية على المعنيين ألا يحرموه من هذا الرغيف.

مع الأسف الشديد فإن واشنطن ساعية دائماً إلى فرض تسلطها، وهي تنظر إلى الغير نظرة المتعالي جداً، ومن موقع أنهم هم شعب" الله المختار". ويلجأون في كل مستويات السلطة إلى مجموعة من الأساطير والخرافات. وسواهم ليسوا إلا أشياء أبعد ما يكونون بنظرهم عن واقع الإنسان، فإذا ما وقفوا ضدهم فهم حيوانات شرسة متمردة يجب قتلهم لا بل استئصالهم، وإذا ما استسلموا فهم حيوانات أليفة تستخدم للتسلية ويمكن أحياناً تدليلها والعبث بها. إذ تتمثل عبقرية النظام الأميركي في أنه يمنح الأقوياء الأذن لأن يسرقوا الضعفاء ويجعلوهم يعتقدون أنهم يدافعون عنهم ويعملون من أجلهم.

في هذه الحالة ليس ثمة خيار نظيف نموذجي، وليس هناك على الإطلاق أية قضية قريبة من المثاليات، وما هو موجود في الواقع ليس إلا قرارات وسلوكيات وردود أفعال قد ينتج عنها مصائر غريبة ولا أحد يتنبأ بنتائجها.

ويضاف إلى كل ذلك أن الولايات المتحدة الأميركية تهدد ليس فقط بقوتها الشرسة المنفوخة بالمعدات المتطورة والتي تشكل خطراً على مصير البشرية، ولكنها أيضاً تصادر موقع الأمم المتحدة كما تحطم التوازن الضروري أحياناً في ما بين الشعوب.

وتهدف من خلال ذلك إلى جلب وتصدير التعقيدات

والأزمات والخراب إلى شعوب العالم حتى تتمكن أن تجعل العيش فيما بينها يبدو مستحيلاً.

إن لديها نظرة في الاقتصاد، ومفهوماً في السياسة، ورأياً في الإجتماع، والويل لمن لا يقبل بهذه النظريات. إنها كما يسمونها قيماً أميركية، وعلى المجتمع العالمي أن ينسجم معها ويتكيف حسب مقتضياتها، حتى لو كانت خاطئة، وبالذات حتى ولو كانت لا تلائم المجتمعات الأخرى.

الولايات المتحدة تستغل قدراتها العسكرية في عمليات إستثمار رابحة في مشاريع تستمد رأسمالها من ثروات العالم، كأن الكون بأسره مباح لها، تفرض عليه منطقها العام وتخضعه لمفهوم أنيابها.

إنها عملية تفريغ العالم من الجوانب الروحية وتجريد بني البشر من إنسانيتهم. إنها ذهنية الأخذ دوماً في كل الجوانب، خصوصاً أن هناك توتراً في المجتمع الأميركي بين هوية الفرد وهوية الجماعة.

إنهم متوهمون في أنهم كائنات متفوقة. إذ يعطون لإنفسهم حق إستباحة كل ما يملكه سواهم وحق تقرير مصائر الآخرين، وهكذا تحولت الولايات المتحدة من حامية إلى ناهبة.

حتى الظاهرة الدينية في الولايات المتحدة الأميركية أو ما يسمى بالصهيونية المسيحية، وأيضاً المسيحيين

الجدد لا يجوز على الإطلاق فهمها بمعزل عن ثروات العالم. فهي تُفقر وتغني، وهدفها إعتراف الجنس البشري "بحقها" أن تكون وصياً مطلق الحقوق على مصائر الأمم.

ولديها هلوسة بما تؤمن به كما لديها غرور بقوتها إلى درجة الغطرسة. تستخدم الإعلام بوحشية متناهية لتحقيق أهدافها بكثير من المكر وتحريف الحقائق وتزويرها.

إنها، أي الولايات المتحدة تنتقل من أحلام إلى أخرى ثم تطردها هذه الأحلام لتعيش في مستنقعات الأوهام. وغني عن المعرفة أن شعباً يسعى لأن يتصرف كأنه حالة إلهية، سيسقط لا محالة ليتحول إلى حالة شيطانية.

فالولايات المتحدة الأميركية لا تطفئ فتنة إلا بنار فتنة أخرى، إنهم يفعلون ما يحلو لهم، وأقوالهم أحابيل.

يريدون التسلط وإذا لم يتمكنوا يقتلون الرافضين بصواريخهم، بطائراتهم وحتى بالسكاكين.

مبتغاهم الأخير إعادة صوغ تاريخ الآخرين تعبيراً عن عقدة تتملكهم لأنهم بلا تاريخ. يهدفون إلى إفساد تراث الآخرين لأنه لا تراث لهم، وفي نهاية المطاف يسعون إلى صنع الآخرين والتحكم بهم لصنع وجودهم.

إن الولايات التمحدة تعتبر أمنها مترابطاً مع مصالحها

ولا قيمة لديها لمصالح الآخرين مهما كانت حيوية، فمصالح الآخرين في أي مكان في العالم يجب أن تتوافق مع مصالحها هي بالذات.

إنهم يذهبون بالبشرية إلى المجهول، إنها مغامرة سيئة لأنهم لا يعلمون أن التقدم في العلم يجب أن يقترن بالتقدم في تطور الإنسان وتقدمه، وأن أي عامل في الاكتشافات العلمية الإيجابية يجب أن يرافقه تقدم مماثل في بناء الإنسان والقضاء على التعقيدات المختلفة في مختلف جوانب حياة بني البشر. والإدارات الأميركية المتعاقبة تعمل على إلغاء كل الحقوق وتتجاهل جميع القوانين.

ولا يجوز مطلقا لمن يريد أن يهيمن على الحاضر وأن يتحكم بالمستقبل أن يتجاهل الماضي، إذ من الخطأ الجسيم طمس الماضي. والتحكم بالمستقبل لا يكون على الإطلاق إنتقاماً من الماضي، لا بل يجب أن يكون هناك خط متواصل مستقيم بين الماضي والحاضر، والمتستقبل.

إن الولايات المتحدة الأميركية مأخوذة بالحاضر وترفض الماضي، فهي تعتبر التاريخ لا شيء بل تعتبر الحاضر بداية كل الأمور، ولذلك فإن من يدرك واقع التصرف الأميركي يدرك أن لديها مساحة ضيّقة ما بين الطموح والجنون.

وكلنا يدرك أن حقيقة المناوشات في عالمنا والتي

تدفع بها الولايات المتحدة الأميركية قدماً إلى التنفيذ ليست سوى صدى للفراغ الروحي الذي يعانيه المجتمع الأميركي، الأمر الذي ضاعف لديه الكثير من عوامل الخوف والشك والطمع وكراهية الآخرين.

إنهم بإمساكهم بزمام أمور العالم لا يسعون إلى تلاقي الثقافات وتفاعلها بصورة متكافئة، بقدر ما يهدفون إلى توحيد العالم تحت منظور ثقافتهم ومصالحهم واعتبار الحضارات الأخرى ملتبسة في الواقع أو هي مجرد ديكور.

وهذا كله أدى، بسبب الخضوع لنظام القطب الواحد، إلى ظاهرة الإنقسام في كل مجتمع وذلك نتيجة للهوة الرديئة المتسعة بين الذين يملكون والذين لا يملكون.

وعلينا أن لا نسيء التقدير، فنحن نعيش قلق مرحلة تاريخية بأكملها، مرحلة اعتقدت فيها الولايات المتحدة الأميركية أنها تنشئ الثقافة الوحيدة والحضارة الوحيدة وتسعى جاهدة لفرضها كلها تحت عنوان أنها الشعب المختار.

لقد فاتها أن الإنسان أي إنسان هو بتنوع مكوناته التي تشكل كلاًّ لا يتجزأ. وتجاهل واشنطن لهذه الحقيقة سيؤدي إلى إصابة الولايات المتحدة الأميركية بتصدعات

كبيرة وستلقى مشاريعها التسلطية وأحياناً الإلغائية الفشل الذريع.

إن العالم ليس معطى جاهزاً يفرض أو حتى يقدم لمن نريد، لكنه عمل ينبغي إبداعه، في حين أن ما نراه من مثل أميركية ليست سوى ترهات ملتوية وملتبسة وغالباً متقوقعة على الذات.

تنظر الولايات المتحدة الأميركية إلى العالم من موقع مرتفع جداً وتطلب منه أن يختار بين الوقاحة والبذاءة، يا له من خيار!! إنها واثقة من نفسها حتى الغرور.

ولماذا الضياع، فهم يرون أن أبطال تاريخنا هم أعداء لهم، وأن أبطال تاريخهم هم أعداء لنا. فالخلافات قائمة لا محالة. والاختلافات مردودة من قبلهم مهما سعينا إليها. إنهم يلبسون الباطل ثوب الحق. إنهم يستثيرون عوامل الشرّ لتحقيق أغراضهم.

هذه التصرفات الأميركية وسواها من المنهجية القائمة على منطق الهيمنة تطرح مسائل في العمق على نحو متبادل حول عقدة الوطن الذي تفتقد أميركا مفهومه الحقيقي، وتعيش في رحم المواطنية، وحول دلالة الإندماج في المجتمع، إذ تعيش أميركا هاجس المجتمعات المتناقضة المتنافرة وهاجس معاني الإندماج الثقافي الذي تسعى جاهدة إلى تحقيقه.. ولكن من أين لها أن تحقق ذلك.

همومها الكبيرة تدور حول نجاح هذه الأمور أو

إخفاقها، وهي بالفعل تبدو عصيّة على الغلبة في ميادين أثبتت شللها في العمق وفي ظاهر الأمر، لذلك تعيش أميركا هاجس تحقيق أهدافها بواسطة الأيديولوجية الدينية المتشددة.

وبصراحة تامة، حطّمت الولايات المتحدة الأميركية خصوصيات الشعوب، وينابيع حضاراتها، غير أنها بَنَت شيئاً ممكن بناؤه في أي مكان، وهو ثقافة السوق، ومنطق القوي والغلبة لمن يملك القوة الحاسمة.

إنها تعيش عُقَدها التاريخية وتحاول تذليلها على حساب الشعوب الأخرى.

استراتيجية مبهمة وسياسة مفككة

سقوط الأحادية القطبية

في جلسة نقاش مستفيضة لسياسة الولايات المتحدة كان يرأسها جورج دابليو بوش، وصف أحدهم الواقع بأنه مثل طفل يلقي طعامه على الأرض وينتظر كي يأتي الكبار ليلمّوه.. ويضعوه ثانية بتصرفه...

ثم يعود الطفل مرة أخرى ويلقي الطعام ثانية... وهنا قاطعه الرئيس بوش قائلاً: "علينا جميعاً أن نقول الأمر نفسه: ليبقى الطعام على الأرض...

وعندما قيل للرئيس بوش أن العتمة تشتد أجاب هازئاً: تشتد العتمة دائماً قبل أن تظلم دائماً.

لقد وصف أحدهم السياسة الأميركية وكأنها قطة طويلة الذيل تسرح في غرفة مليئة بالكراسي الهزازة.

نعم إن إدارة واشنطن تقف اليوم وسط مشاكل عديدة جعلتها تستشعر أن كل شيء بات متعلق بكل شيء لذا فكل شيء يعتبر أولوية... وهكذا تورطت واشنطن واختلط في سياساتها الثانوي والأساسي، التكتيكي والاستراتيجي، الدائم والعابر...

تصدت لمشكلة إنتشار أسلحة الدمار الشامل، وهي التي تمتلك أكبر وأهم وأخطر ترسانة منها. لقد شنت حملتها على إيران، وكوريا الشمالية، وأغفلت عن قصد ما تمتلكه إسرائيل من مئات الرؤوس النووية...

تصدت لأزمة الشرق الأوسط وما تحمله من تهديدات متشعبة... ولكنها في الوقت عينه تغض النظر لا بل تحمي عدوانية إسرائيل ضد شعب أعزل، وقد بلغت الوقاحة عند مندوبها في الأمم المتحدة السفيرجون بولتون إلى حد القول: إن العرب قد أساؤا إلى إسرائيل كدولة منذ إنشائها...

... قضية النفط والغاز في منطقة الشرق الأوسط... الرغبة الجامحة لدى الإدارة الأميركية في مصادرة هذه الثروات لإستثمارها من جهة، والتحكم من خلالها بالعديد من مراكز القوى الدولية بما في ذلك أصحاب هذه الثروات...

بحر قزوين... الذي يُعتقد أنه ينام على مخزون نفطي تتجاوز كمياته الـ 100 مليار برميل، وبعض التقديرات تقول إنه قد يصل إلى 230 مليار برميل، أي ما يعادل ثمانية أضعاف الإحتياطي الأميركي المؤكد. من أجل ذلك هم في أفغانستان...

ومع ذلك كثيراً ما تجد الولايات المتحدة الأميركية نفسها في قلق متنامٍ وفي خوف متراكم.

لماذا:

لأن الإدارة الأميركية بقيت أسيرة الشعور من تجدد عدائية روسيا لها وسعي هذه الأخيرة المتنامي لإستعادة مكانتها كقوة عظمى في العالم... كما أنها تخشى المزيد من التفاهم والتلاقي بين دول الإتحاد الأوروبي في خضم الصراعات العالمية... وكثيراً ما يستذكر الأميركيون في هذا المجال ما كان يردده الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران من أنه يشعر لا بل يلمس بأن أوروبا واقعة في حالة حرب متعددة الأوجه لا محالة مع الولايات المتحدة الأميركية.

والغضب يتملك السياسة الأميركية عندما تراقب الطلب الواسع والمتزايد للصين على الطاقة وتنامي قدراتها وموازناتها العسكرية بسرعة...

لقد تعمّد طباخوا السياسة في إدارة بوش تسييس تقارير الإستخبارات الأميركية وعملوا على قولبتها لتتوافق مع إستنتاجاتهم المسبقة، ونجحوا في إقناع الأميركيين وبعض العالم بمقولة إمتلاك صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، ما برر غزوهم العسكري للعراق والإطاحة بنظام صدام حسين.

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى كشف كولن باول وزير الخارجية الأميركية آنذاك خفايا تلك الأكذوبة

وكذلك فعل جورج تينت مدير المخابرات الأميركية المركزية.

واليوم أكثر من أي وقت مضى... الولايات المتحدة تتخبط بأزمات قاتلة.

سياستها.. تنتقل من فشل إلى فشل..

إقتصادها.. ينهار تماماً...

أزماتها تتلاحق... تتوالى...

ولا أحد يعلم بعد، كيف سيكون بإمكانها أن تحدّ من هول مثل هذه المآسي المدمرة...

لقد رمت الولايات المتحدة عبر قادتها العالم بكرات من الشر، وها قد عادت كرة الشر ملتهبة إليها...

وبعد وقوع كل أزمة كان بعض النخبة في أميركا يتساءل لماذا؟ وماذا بعد؟

بعد غزو العراق... كان الخوف من القطيعة مع أوروبا إحتمالاً كبيراً. وكان يصعب التغلب عليه حتى في داخل الإدارة الأميركية نفسها التي تتكون من رعاة بقر، من دعاة الأحادية القطبية، حسب توصيف أحد المسؤولين في تلك الإدارة.

والمفارقة هي في الإبهام الذي طغى على توصيف الإدارة الأميركية، حيث يقول أحد المسؤولين فيها: " إن بوش ملام لإتباعه سياسات تصادمية لم يتبعها فعلاً بدلاً

من إتباعه سياسات بيروقراطية وهي التي اعتمدها جزئياً، وكانت تلك السياسات بالإتجاهين التي استوحاها من غرائزه الأصلية، هي التي قادته إلى الفشل.

.. لقد اعتقدت إدارة بوش أن القوة التي بحوزة أميركا سوف تجعلها أكثر قدرة على إدارة العالم وإخضاعه لمشيئتها وفرض الإستسلام عليه. ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى وجدت أميركا نفسها مطوقة بعدائية شاملة تكاد تصل إلى حدّ العالمية.

.. لقد عبَرَت الولايات المتحدة فترات متلاحقة، تستسلم خلالها القيادة السياسية في واشنطن لإحساس خادع ومضلل بالأمان ثم تصحوا بعدئذٍ على مفاجآت مروِّعة.

إن أيديولوجية الرئيس بوش الدينية وتأثره العميق بتعاليم المحافظين الجدد ومقولاتهم قد ساهمت باستمرار في تغييب الحقائق الواقعية وأغرقته وإدارته ومعهم الشعب الأميركي بأوهام الحقائق المزورة.

وهكذا ظهر للعيان أنه مع بوش وأعوانه، استطاعت الأسطورة أن تهزم العقل.

لقد أثبت الرئيس بوش بالممارسة إنه سياسي جشع لا يتوانى عن دفع أي شخص إلى التضحية بمنصبه أو بقناعاته إذا كان الأمر سيؤدي إلى توسيع صلاحياته وتمكينه من الإمساك بجميع القرارات.

وإذا كان فن السياسة عند البريطانيين يقوم على مبدأ أن تخفي ما تريد وتُعلن ما لا تريد فعله، فإن فن السياسة عند الإدارة الأميركية المحافظة، يقوم على مبدأ أن تبادر إلى فعل ما لا يريده الآخرون وأن تفرض بالقوة العسكرية عليهم ما تريده. . .

لم يتردد لا بل لم يخجل جورج بوش رئيس أقوى دولة في العالم في أن يبرر منطقه السياسي ذاك أمام صديقيه طوني بلير وغيرهارد شرودر بالقول لهما، بأن ما يقوم به ليس سوى صدى لأحاديثه الثنائية مع "الرب" (راجع مذكرات شرودر).

وكم كانت عظيمة عبقرية الإنكليز حين كانوا يلجأون إلى لعبة الصياغات التي كانت تصور لكل طرف أنه حصل على ما يريده وفي الحقيقة إن أحداً من أطراف النزاع لم يحصل على أي شيء، ذلك عندما كانت تستعصي عليهم القدرة على إجتراح الحلول للأزمات.

أما الأميركيون فإن عبقريتهم تقوم على مبدأ إستخدام القوة وعلى إستخدام الإغراء لإقناع الغير باستخدام القوة المفرطة لأجلهم وتدفيعه تكاليف ما يستهلكونه في معاركهم. .

وهذا ما جرى فعلاً في حربي الخليج الأولى و الثانية.

إن القيادة الأميركية لم تدرك يوماً أن أفكارنا هي التي تصنع أقدارنا، فكما نفكر نصبح.

.. من أجل ذلك انفجر العراقيون في النهاية مثل البركان لأنهم شعروا أنه تم استبدال المستبد بالمحتل..

إن فيضاً من التحولات ينتظر مصير الولايات المتحدة الأميركية بعد العراق. إن ديناصوراً إقتصادياً قادماً يتحرك في آسيا و الصين والهند. وروسيا تحاول إعادة تشكيل قوتها الذاتية وأصبحت تمتلك كل المقومات لذلك.

وما تخشاه الولايات المتحدة هو أن يقوم حلف قد يضم الصين وربما اليابان والهند وروسيا وباكستان وإيران وكذلك تركيا وقيام مثل هذا الحلف سيجعلها الأضعف في اللعبة الدولية...

وإن الرهان الأميركي المستمر على مصالحها فقط هو الذي سيدفع بها من حالة الإضطراب إلى حالة التفكك والشلل.

الإعلام المرتهن للسلطة
يضع أميركا
بين الإضطراب وحافة الإنفجار

إذا تعمقنا في مكونات الواقع الأميركي نلاحظ أن المكون الثالث للنظام الأميركي بعد الفن والإستخبارات هو الإعلام.

.. فالإعلام حسب التعريف النظري لوظيفته: " هو المرآة العاكسة للواقع الموجود بينما تعنى الثقافة بصناعة الوعي الأفضل...

إن للإعلام وظيفة نبيلة وأساسية في تقدم الأوطان فهو معني بتوعية الشعوب... وتنقية الحياة السياسية...

الإعلام ما إن يستزلم يصبح بلا معنى، وما إن يستسلم يصبح بدون قيمة. فالإعلام إما أن يكون عوناً للحاكم على المحكوم فيفقد قيمته الأخلاقية أو أن يكون في جانب المحكوم عوناً له على الحاكم فيؤدي بذلك رسالته الإنسانية.

أما واقع الإعلام في الولايات المتحدة فدأبه أن

يروج لأكاذيب الإدارة الحاكمة بهدف تضليل الرأي العام وتقديم جرعات متتالية له من الترهات بهدف تنزيه الحكم القائم... والويل لمن يحاول الإقتراب من فكرة فضح الإدارة فيكون نصيبه حملات مدمرة من قبل هذا الإعلام...

غني عن القول إن الإعلام الأميركي يتأثر بشكل كبير ومباشر بتوجيهات اللوبي الصهيوني... أي هو محصلة تحالف شيطاني بين الإدارة الأميركية والمصالح الإسرائيلية...

وقد لمسنا بالتجربة المحققة كيف أن إدارة الرئيس بوش تختار اللحن وما على الإعلام إلا الرقص على أنغامه.

وحسب ما يتبدى لنا، فإن الإعلام الأميركي لا يريد أن يتخلص من غريزته في الإنقياد إلى السلطة.

وكم كانت الإدارة الأميركية شديدة الغضب عندما تجرأت وسائل إعلام غير أميركية على نقل الحقائق الموجودة على الأرض من عيون الضحايا... وخاصة في العراق وفي أفغانستان.

لقد لاحقت الإدارة الأميركية أولئك الإعلاميين الذين كانوا ينقلون ما راؤه وليس ما قيل لهم، فتعقبتهم وعاقبتهم.

والشيء المحزن أن الشعب الأميركي يمجد الخطأ من

دون قصد، لوقوعه ضحية الأخبار الكاذبة التي يروجها إعلام بلاده.

والحقيقة المتعارف عليها أن الخطاب الحر هو آخر خط دفاع في الديموقراطية الذي لا بد من توفيره وحمايته والدفاع عنه. والأهم من ذلك كله هو إستخدامه بشكل صحيح في مكانه وزمانه.

والذي رافقناه بكثير من الدهشة والإشمئزاز والمنافي للقيم الديموقراطية، هو أن الرئيس بوش الإبن قد استخدم الخديعة والمعلومات الكاذبة والمضللة ليقود بلاده وحلفاءه بذلك إلى الحرب، أو لينقذ نفسه من أي مشكلة سياسية تواجهه.

وهكذا استحالت حروب بوش الإستباقية مستنقعاً دموياً للقوات الأميركية والأطلسية...

وفشل الإعلام الأميركي أخيراً في إمتحان تشويه الحقائق التي حملتها أرتال النعوش المتدفقة من العراق وأفغانستان إلى البيوت الأميركية بدون إستئذان وبغفلة عن الشاشات التي امتهنت الكذب والرياء على الرأي العام.

وكم هي حاجة الولايات المتحدة الأميركية إلى إعلام مستقل يطرح الأسئلة الصعبة وينتقد ويحاسب أصحاب السلطة... فالإعلام الموثوق من الشعب الأميركي وحده القادر على فضح روايات السلطة وادعاءاتها الكاذبة.

وفي غياب ذلك سيبقى المواطن الأميركي في موقفه أسير المعلومات الخاطئة ورهينة الأغراض الشخصية التي تغطيها التنبؤات التي أضحت بدورها أيديولوجية ثابتة للأدارة الأميركية.

إن أقل ما يقال في دور الإعلام في المجتمع الديموقراطي أنه وسيلة الكشف والتحقيق الشعبية بإساءات السلطة. . . ولكن عندما يكون الإعلاميون جزءاً من حاشية السلطة وأربابها يتحولون هم بأنفسهم أدوات للإساءة.

وفي هذا المجال لا بد من التذكير بنظرية مائير روتشيلد: " سوف نحرز بفضل إمتلاكنا الصحافة على سلاح ذهبي ولا يهم كوننا لن نصل إلى السيطرة عليه إلا بعد خوض بحار من دماء ودموع وضحايا " .

وإذا ما أمعنا في البحث نرى أن التداخل بين السياسة والإعلام في المنظومة الأميركية قد بلغ حدّ التحالف الشيطاني بينهما.

العلاقة جدلية بين السياسي والإعلامي، حيث إن حاجة السياسي للإعلامي كبيرة وأساسية كي ينقل له أفكاره وأراءه، وكذلك فإن حاجة الإعلامي للسياسي حيوية فهو من يمده بالأخبار والمعلومات التي تمكنه من تدبيج مقالته أوخبره.

وهكذا نستنتج بأن الإعلام بطبيعته له وظيفة سياسية،

كما أن السياسي من ناحيته يمارس دور الإعلامي بشكل أو بآخر...

إن الإعلاميين سياسيون بالضرورة... والسياسيون هم إعلاميون بحكم الممارسة...

لذلك نرى أنه بين السياسة والإعلام توجد علاقة مركبة... علاقة، تشبه نظرية الحامل والمحمول... إذ إن حاجة كل منهما إلى الآخر عضوية وضرورية...

ولقد أدى خضوع الإعلام لاحتكار السلطة السياسية الحاكمة إلى انتشار الإستبداد والفساد.

وفي الولايات المتحدة وفي مثل هذا المناخ الخانق للحريات... كيف تتنفس وكيف تكتب ولمن تكتب؟.

وما جدوى الكتابة؟ ولماذا تحلم بالحرية وتتطلع إلى الديموقراطية؟ بينما دوي المدافع من حولك يصم الآذان ويشل الأعصاب، ويدمي القلب...

إن الرأي العام الأميركي قد تعود على تلقي الأمور كما تصل إليه دون أن يكلف نفسه عبأ التفكير والتمحيص المسبقين، ودون الغوص في تحليلها أو حتى محاولة معرفة ما هي مقدماتها وما هي أستهدافاتها.

ومع هذا الإعلام الأميركي وتعتيمه المتمادي على الحقائق في الداخل وفي الخارج وتلطيخ سمعة المناوئين للسياسة الأميركية، إنما يناقض بذلك أهم مقومات القيم الديموقراطية والحرية ألا وهي الشفافية واحترام حق الآخر

بالاختلاف وكذلك خضوع الجميع بدون استثناء للمساءلة والمحاسبة.

كل ذلك يجب أن يدفعنا إلى مخاطبة الأميركيين بواقع الحال ومطالبتهم بأن يكونوا حرصاء على ما يعتقدونه من قيم ديموقراطية، وأن يظهروا هذا الحرص في محاسبتهم لإدارة بوش الإبن كي يتفادوا ما يمكن أن تلحق بهم من خيبات سياسة الإدارة الماضية من مآسي على المجتمع الأميركي في حاضره ومستقبله وكذلك على المجتمع العالمي بأجمعه، في عصرٍ أصبح كل شيء فيه معولم.

أما أن يسكت الرأي العام الأميركي عن جرائم قادته وعن سلبه لإعلامه وأن تثابر الإدارة الأميركية بضؤ ذلك على سياسات منحازة وأنانية فهذا يعني أن الولايات المتحدة الأميركية تتجه من حالة الإضطراب إلى حافة الإنفجار.

أميركا الغارقة في الجرائم
من أفغانستان.. إلى لبنان
نظام مالي سقط
ونظام سياسي يهتز

كشف السفير جون بولوتون مندوب الولايات المتحدة الأميركية السابق في الأمم المتحدة عن الجوهر الحقيقي للخلفية الأيديولوجية للسياسة الأميركية بالقول: "إنه من المهم عدم الوقوع في شرك التكافؤ الأخلاقي".

وكان ذلك رداً على فقرة من بيان للمفوضية العليا لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة أشارت فيها بوضوح إلى اتهام قادة إسرائيل بارتكاب جرائم حرب...

... والسفير بولوتون هو نفسه الذي أعلن أكثر من مرة عن اعتزازه بأنه خلال وجوده في الأمم المتحدة قد استخدم حق النقض "الفيتو" مرتين لمنع إدانة إسرائيل، وهو يفاخر بذلك...

وجون بولوتون نفسه تبنى في كتابه: "الإستسلام ليس خيارنا" تبريراً واضحاً لعدوان إسرائيل على لبنان في تموز

2006 في فقرة جاء فيها: " إن قوات حزب الله هي التي عبرت الخط الأزرق في حرب تموز 2006 وإنها هي التي بدأت بالهجوم على القوات الإسرائيلية " .

إنه تحريف صارخ لوقائع عاشها العالم كله منذ فترة ليست ببعيدة. . . ولا غرابة في ذلك، فأن جوهر سياسة إدارة الرئيس جورج دابليو بوش قائم على التحريف وتشويه الحقائق.

لقد كتب بولوتون في كتابه ذاك أنه " . . . عندما سمعت ببدأ الحرب الإسرائيلية ضد حزب الله شعرت بالإرتياح والسرور. . . "

وفي مكان آخر من الكتاب استغرب عدم إستهداف القوات الإسرائيلية في عدوانها على لبنان خطة الوصول إلى شمال الليطاني.

لقد شهدت الخطة الأميركية في الشرق الأوسط سقوطاً مريعاً في لبنان بضؤ نتائج حرب تموز بعدما كانت قد أُثخنت من الجراح في العراق وأفغانستان.

. . وأخيراً ماذا جرى في الولايات المتحدة؟.

سقطت الأمبراطورية المالية سقوطاً مريعاً.

بعد أقل من خمس سنوات على الإجتياح الأميركي للعراق وما أصاب ذلك من استنزاف للسياسة الأميركية، ليس فقط على مستوى الشرق الأوسط بل وحتى على المستوى العالمي، أطلت الأزمة المالية من واشنطن لتعلن إنتهاء مرحلة الهيمنة على إقتصاد العالم والتحكم بأسواقه

وانكفأت الولايات المتحدة لمحاولة مداواة جروحها الساخنة وستر عورات نظامها المالي والاقتصادي...

هي ذاتها الولايات المتحدة الأميركية المحافظة... التي إستقدمت إلى كل بلد تقريباً قضايا لاهية لتنتقم من كل العالم وضد كل العالم وتأمين مصلحة أميركا فقط لا غير..

هي ذاتها الولايات المتحدة الأميركية التي فرضت على العالم سياسة (ديانة السوق الواحدة)... وهي ديانة جديدة، أميركية المنشأ، تتحكم في كل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شعوب الأرض، حيث بات 20 بالمئة من سكان (القرية الكونية) يسيطرون على 80 بالمئة من ثروات العالم...

وعبثاً تحاول أميركا معالجة سقوطها المالي والاقتصادي من خلال ضخ بضع مئات من مليارات الدولارات في الأسواق...

فالمشكلة ليست على الإطلاق مشكلة سياسية أو إقتصادية فقط بل هي مشكلة أيديولوجية ولاهوتية تسعى الإدارة الأميركية المحافظة من خلالها إلى إقامة عالم جديد تحكمه فقط قوانين السوق وحيث إن كل شيء فيه يكون معروضاً للبيع والشراء.

.. إن النافذين والمشاركين في القرارات المصيرية

في الإدارة الميركية يعتبرون أن الثقافة و الوعي الإنساني ليسا إلا سلعاً معروضة للتسويق في الأسواق التجارية..

وعقيدة هؤلاء تقوم على مبدأ سيطرة الأقوى على الأضعف وفق المنهج الاستعماري القديم. وبفعل هذه العقيدة أضحت الولايات المتحدة الأميركية اليوم الدولة الاستعمارية الوحيدة في العالم وبدون أن ننسى طفلها المدلل إسرائيل...

إن الذين ينتقدون سياسات الولايات المتحدة الأميركية من الداخل الأميركي إنما يفعلون ذلك خوفاً على سقوط بلدهم، ويصبحون هم أشقياء الحضارة الأميركية بمعناها القائم...

.. وفي الولايات المتحدة حتى الإعلام لا يبدو أنه يستطيع أن يتخلص من غريزته في الإذعان للسلطة...

.. إن سياسة واشنطن التي تندفع إلى تنظيم القتال والعنف بين شعوب العالم وتدفعها إلى التمادي في المواجهات، هدفت إلى إيصال هذه الشعوب إلى حالة من الإعياء المطلق، الروحي والاقتصادي والسياسي... لتقع أخيراً فريسة ورهينة للأمرة الأميركية...

لقد تجاوزت الإدارة الأميركية بتصلبها العقائدي كل ما كان أرباب الرأسمالية المتوحشة يكيلونه من إتهامات للعقائدية اللينينية في الوقت الذي كان فيه لينين قد اعترف

في كتابه "شيوعية الجناح اليساري" : "إن الشيوعية ليست مذهباً عقائدياً بل هي إدارة عمل. . . "

وأصبحت أروقة البيت الأبيض مع إدارة جورج بوش الإبن تنام وتقوم على التسبيح بوصايا الصهيوني مائير روتشيلد التي أوردنا بعضاً منها في هذا الكتاب.

ومن وصايا مائير الصهيوني تلك التي تقول بوجوب دراسة نفسية الجماهير والشعوب المختلفة كي يتم السيطرة عليها والتحكم المطلق بإدارتها لأن الجماهير حسب زعم روتشيلد عمياء البصيرة وسريعة الانفعال.

وحسب روتشيلد لا يستطيع التحكم بالجماهير وتسييرها بفعالية سوى حاكم طاغية. وأمثال هؤلاء الحكام هم الذين يحكمون أميركا اليوم مع إدارة جورج دابليو بوش، أما على المستوى العالمي فأغلب الحكام هم أصدقاء وحلفاء الولايات المتحدة. .

وتقول وصية روتشيلد التي يتردد صداها في واشنطن: "إن الطغيان المطلق هو السبيل الوحيد لبناء الحضارة، فالحضارة لا تقيمها وتحققها الجماهير وإنما يؤسسها الذين يقودون الجماهير ويضيف: "إن الحرية المطلقة تتحول إلى فوضى مطلقة إذا ما حصلت عليها جماهير الناس. . . "

وهنا لا يجوز لنا أن نسقط من حسابنا المساعي الحثيثة لليهود لإسقاط حكم الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا

فهذا كان الهدف الإساسي والمعلن للقوة الخفية التي أسسها مائير روتشيلد مع بعض أعوانه..

هذه الحقائق استدعت منا وقفة تفكير وتحليل لإن الصراع هو الذي يستدعي الذاكرة والتاريخ صوراً وأوهاماً وحقائق.

هكذا نرى أن الإدارة الأميركية في تماثلها مع اليهود أرادت أن تحوّل الشعب الأميركي وليس اليهود فقط إلى شعب الله المختار..

لقد أوهموا الأخرين بأن سياساتهم ليست إلا تنفيذاً لوصايا دينية تلمودية. ولكن ممارساتهم بينت أنهم أبعد ما يكونون عن القيم الدينية وأنهم يعيشون دائماً في دوائر الشك والقلق والريبة.

.. في الولايات المتحدة العمل في السياسة يقتصر على نخبة منتقاة من أكادميين تجمعهم روايات متقاربة... ومن مدراء شركات يتنافسون على إبتزاز العالم لصالح شركاتهم... ومن أجهزة إستخبارات تمتلك المعلومات فتتلاعب بها كما تشاء، وتقدمها إلى من يعنيهم الأمر لتملي عليهم قراراتها من حيث لا يدرون.

هؤلاء هم الذين يديرون الحكم ويصنعون القرار ويحتكرون السلطة وفي الوقت عينه ينظّرون للمعرفة ويدعون للحكمة... يستغلون... يفسدون... يستبدون دون خوف من محاسبة أو مساءلة.

كيف ننسى رامسفيلد الذي لجأ إلى الرئيس العراقي السابق صدام حسين لينقذ شركته من الإفلاس ثم هو نفسه من تولى لاحقاً الإطاحة به.

و أن جورج بوش الأب قد إستعان بسالم بن لادن شقيق أسامة بن لادن لإنقاذ نجله الرئيس جورج دبليو بوش من التشهير وبادر سالم فعلاً إلى إنقاذه. ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟.

أقلع سالم بن لادن بطائرته الخاصة من تكساس بعد أن وضع الأمكانيات المالية اللازمة بعهدة بوش الأب فإرتطمت طائرته بسلك لشبكة خطوط التوتر العالي فتحطمت الطائرة وقضى سالم بن لادن... ألا يدعو ذلك إلى الإستغراب؟!

ولو عدنا إلى حكاية الشيخ أسامة بن لادن لنجد أن المسؤولين الأميركيين قد جحدوا أو كفروا بالمعروف الذي قدمه لهم بن لادن في أفغانستان. وهكذا يتبين أن من كانوا إلى جانبهم في محنتهم لا يتوانوا في أي لحظة عندما تقضي مصلحتهم بذلك عن الإقدام على تدميرهم.

فليس خافياً على أحد أن الشيخ أسامة كان قد جاء إلى أفغانستان مع المقاتلين العرب حاملاً معه إمكانيات مالية كبيرة جداً صرفها من حسابه الخاص في سبيل مصلحة المقاومين للوجود السوفياتي في أفغانستان آنذاك...

وكان أُسامة في تلك الفترة يقيم مع مسؤول المخابرات الأميركية المركزية في شقة واحدة ويتبادلان أطراف الحديث بإسهاب عن المستقبل. وكان الأميركي يؤكد لأسامة أن مستقبلاً باهراً ينتظره فور عودته إلى المملكة العربية السعودية بعد تحرير أفغانستان من السوفيات.

وعندما شكا أسامة للمسؤل الأميركي أنه في السابق كان الحكم في المملكة للأمراء والتجارة والمقاولات له ولأمثاله وأنه أصبح اليوم كل شيء بيد الأمراء... أجابه مسؤول المخابرات ".. عندما تعود إلى الرياض من أفغانستان منتصراً ستكون الأمير على كل الأمراء.. ".

وكانت صدمة أسامة بن لادن بعد عودته إلى المملكة العربية السعودية من أفغانستان منتصراً بأن شيئاً لم يتغير عليه سوى تعيينه عضواً في مجلس الشورى بقرار من الملك...

وعندما حاول أن يعترض على طريقة التعامل معه خاصة وأنه كان قد فقد القسم الأكبر من ثروته المادية في أفغانستان، أُخرج إلى السودان تحت ذريعة توكيله مع شركات سودانية بتنفيذ طريق كبيرة بتمويل من البنك الدولي الأمر الذي سيعوض عليه قسماً من أمواله، وتكون تلك فرصة لكسب الوقت كما قيل له فيعود بعد ذلك إلى المملكة وتكون الأمور قد تعدلت لصالحه.

ولكن ماذا جرى؟

لم يتمكن أسامة بن لادن في هذا المشروع من إستيفاء ما تكبده من أموال على هذه الطريق من البنك الدولي، ليس ذلك فقط، بل سحبوا منه في السودان جواز سفره، الأمر الذي اضطره للعودة مجدداً إلى أفغانستان..

وهكذا نرى أن الولايات المتحدة التي سعت إلى طغيان منطقها دون نقاش أو جدل على العالم، قد فشلت في فرض مشيئتها رغم استخدامها المفرط للقوة العسكرية... كما فشلت حتى اليوم من تعميم ثقافتها على العالم.... وهي تغرق في دمها المسفوك في البورصات وشركات التأمين والمصارف...

الكبار هم الإرهاب
... والصغار هم ضحاياه

دائماً الحديث عن "الإرهاب" . . . عن العنف. . . وإذا ما تواصل الحوار يكون الوعيد والإنذار باجتثاث ما يسمونه "الإرهاب" . إنه حديث يثير الأذهان ويستثير الأفكار حقاً.

نحن بدورنا نؤكد أننا لا نسلّم بأسلوب العنف، فكل المبادئ والعقائد التي نؤمن بها تمنعنا من استخدام العنف وخاصة عندما يكون مسرحه الناس الأبرياء. إنها الحقيقة، حقيقتنا ونحن ليس لدينا مشكلة، لا بل نحن نريد أن تثار الأمور بشكلها الطبيعي وعلينا أن نقدم بكل وضوح وصراحة الوقائع كما هي. ولكن المشكلة تكمن في من يريدون طمس الوقائع والحقيقة ويرددون الأكاذيب. . . ويوجهون الإتهامات. . . .ثم يريدون من المجتمع ومن العالم كله أن يصدقهم. . .

إنهم بالفعل يرعون الإرهاب، وهم يغذون العنف. . . ثم يدّعون "القداسة" ويتباكون إذا ما إنقلب أحياناً السحر على الساحر وجاء دورهم بتلقي ضربات من هذا العنف

أو ذاك الإرهاب. إننا نتألم لإنتشار موجة العنف عبر العالم كله... ونحن الذين نؤمن بأن للإنسان أي إنسان الحق بالحياة ولا يجوز لأي كان أن يحرمه منها... إن إعتقادنا راسخ بأن عيوننا ما كانت يوماً تضيء إلا ببراءة أصحاب الحقوق وأصحاب العدل ودعاة الشجاعة والعاملين من أجل سلام عادل يعم كافة أنحاء العالم.

نحن مع الحوار... مع التواصل... لحل جميع الخلافات.. ولكن لنكن في منتهى الصراحة: عندما يعجز إنسان عن حل مشاكله مع الآخرين بالحوار.. وعندما يجد أن مغتصب حقه يفرض عليه الركوع والكف عن المطالبة بما له عليه، فعندها يُكره صاحب الحق على اللجوء إلى أسلوب العنف... ويصبح الواجب هنا في أن نفتش عن الأسباب والدوافع إلى ذلك وعندها يتبين لنا أن الجهات التي تزعم محاربة الإرهاب هي التي رعته وغذته.

هذا ما يذكّرنا بمقولة المهاتما غاندي رائد النضال بالأساليب السلمية، ومثال المتعقل بمحبة وصدق، إذ كان يحذر من الصراع العسكري ويقول: " إياكم والعنف ولكن إذا ما خُيرتم بين كرامة أرضكم ومصلحة شعبكم وبين العنف فقد تجدون أنفسكم منقادين إلى هذا الأسلوب... "

نحن كنا من نكون، فإننا معنيون أو ينبغي أن نكون معنيين بقضايا هذا العالم وبخير الإنسان. بضخ الحياة في

المجتمع الأرضي، بالغذاء، بالبيئة، وبالأخص بالمساواة وبالعدل وبالسلام. والذي يزعج الصادقين في العالم هو فلتان الكبار الذين بيدهم مقاليد الأمور. فبدلاً من أن يعملوا من أجل المحبة والعدل والسلام نراهم يعممون العنف، وأي عنف... عنف الفقر، وعنف النهب، وعنف القتل والدمار، عنف النار والنيران، عنف الأنظمة المتسلطة التي تملك في العادة دساتير ديموقراطية وطلاء من مواثيق حقوق الإنسان ولكن الذي نلاحظه في الوقت عينه بشكل واضح هو أن من لديهم المرجعية العالمية والقدرات العسكرية لديهم هم بالذات غرور القوة إلى جانب وحشية الإعلام وطغيانهم الثقافي.

نحن اليوم مهددون بسيطرة جديدة تتمثل بحصر مشاكل العالم كلها بمكافحة الإرهاب وهو أمر غير منطقي. لا يمكن أن نحصر مشاكل العالم كلها بالكفاح ضد الإرهاب بالوسائل العسكرية وحدها. ولوكان لا بد من مكافحة الإرهاب، فعلينا أن نداوي الجذور ونعالج حالات الظلم والإعتداءات وحالات وضع اليد على ممتلكات الغير، ونعالج أيضاً حالات الفقر والمهانة...

وينبغي علينا ألا نجاري الذين يغمضون أعينهم كي لا يروا شيئاً جديداً أو لمنعها من رؤية ما يجري حولهم. إنهم يحجمون عن الإعتراف بأن حروبهم معظمها إن لم يكن كلها كانت إحتكاراً للقوة وإرساءً لمبدأ الهيمنة...

وأن مثل هذه الحروب كانت السبب بنشوء حالة الاعتراض على مظالمها... وتتطور الاعتراضات التي ما إن تلامس حد اليأس حتى يندفع أصحابها إلى الدفاع عن مصالحهم بكل الوسائل.

وقد تفقد شعوب حياتها ذوداً عن أهدافها عندما يستوي عندها الوجود مع الهدف والحلم. فالعنف يتحرك في رحم القهر والإذلال واغتصاب الحقوق.. وهنا نستعيد تشبيهاً ملائماً: إذ قد تكون الولادة متعسرة في بعض الحالات وقد تكون طبيعية في حالات أخرى..

وبهذا فالجماعة أو المتحد الاجتماعي الذي ولد بالسيف لا بد له أن يعيش إلا به... من خرج إلى الوجود بوسائل عنيفة غير طبيعية لا يمكن أن يستمر إلا بوسائل عنيفة غير طبيعية... والمعروف أن الناس يعرّفون أنفسهم بالعدو الذي يقاتلونه أو يصارعونه أكثر مما يعرفون أنفسهم بالحليف الذي يقف معهم..

وأنه من الغريب جداً، ولا أعلم إذا كان من الطبيعي أيضاً، أن غياب العدو لدى أصحاب القوة المقتدرة يحدث وحشة عندهم أكبر من الوحشة التي يحدثها غياب الصديق... وهذا ما يجعلنا نذهب إلى الاعتقاد بأن من طبائع القوة أحياناً أن تجد أو حتى أن تخلق أعداء لها...

ماذا عن العداوة نفسها؟.. إن العداوة هي محاولة

إلغاء ثقافة الجماعة ومصادرة تراثها بعد تشويهه... ثم محاولة مصادرة إنسانية هذه الجماعة بهدف القضاء على مصالحها الحيوية وعقائدها الدينية والاجتماعية..

إننا إزاء عدو يريد أن يلغينا، وأن يلغي وجودنا... وأن يلغي جميع حالاتنا الحيوية، فكيف نتصرف إزاءه؟... هل نسكت ونخلع ملابسنا ليُجهز علينا؟.. هل نسكت عن محاولة إلغائنا بعد مصادرة حقوقنا؟.. وهل يرضى الضمير والعقل والوجدان أن نكون محكومين كي يرضى عنا الآخرون الذين هم أعداؤنا، أم هل علينا أن نبادر لكي نكون صداهم أو ظلهم؟

ويأتي العنف وهو أشبه ما يكون بعملية إنفجار هائلة بعد أن يكون شعب ما قد تحمل أكثر مما تسمح له بذلك طاقته... تحمّل المهانة والدمار، تحمل سلب حقوقه، تحمل الظلم بكل أبعاده.. وأصبح بنظر البعض إنساناً لا يساوي شيئاً... ويستحق القتل والإبادة!!.. بينما ينظرهذا البعض إلى الآخر وكأن له شيئاً من القداسة لا يجوز مسه حتى وإن كان متلبساً بارتكاب الجرائم بحق الأبرياء...

ماذا يحصل بضوء هذه المعادلة الأميركية المقولبة؟.. إن عملية الإنفجار تؤدي إلى تحطيم القيود بعد أن تكون قد كُسرت حواجز الخوف النفسية، ثم تجتاز كل الحدود والسدود... وعندها يهون الموت عند هذه الجماعة.. فتعتبر أن إيمانها بقضيتها أصبح أثمن وأغلى من

وجودها. . فينطلق الفرد أو الجماعة إلى القتال وبشراسة، فبذلك هم يقومون بواجب وطني وإنساني. . . ولكن القوى المتسلطة الظالمة تصنفه "إرهاباً" . . . .

إن المقاومين لا يتقيدون بقانون سلطة جائرة. وقوتهم العظيمة تتأتى مما زودوا به أنفسهم وهم المؤمنون بقانون قواعد الحياة. . . قواعد الوجود. . . قواعد الشهادة. . . إنهم جماعة امتلأت نفوسهم بالعشق الإلهي، فانطلقت إلى الجهاد وهي لا تلوي على شيء. . فامتلكت أنفسهم حاسة مقدسة قوامها أن يموت الفرد من أجل الجماعة. . . أن يفتدي وجودهم بوجوده. . . وأن يفتدي بقاءهم بإستشهاده. . . إنها منتهى الشهادة المقدسة. . .

لماذا لا يتم دراسة هذه الحالة بشكل دقيق بدلاً من أن نستهين بها ونصفها بِـ"الإرهاب" ألا يعلم الجميع أن كل تصرف من هؤلاء المجاهدين ينبغي وهو كذلك أن يكون له هدف ودافع أيضاً؟

ألا يجد هذا الإستكبار العالمي عبرة في إقدام الأعداد الغفيرة على التضحية بوجودهم من أجل حقوقهم المسلوبة؟ وأن أعدادهم تزداد وكفاحيتهم تتنامى كلما واجهوا عدم إكتراث متزايد بقضاياهم أو كلما تيقنوا من أن هؤلاء الإستكباريين قد أغمضوا أعينهم حتى لا يروا، وأقفلوا أذانهم كي لا يسمعوا وبرمجوا أفواههم كي لا تنطق إلا بالإرهاب!؟.

إن هؤلاء المناضلين هم الشرفاء حقاً، إنهم يقدمون أنفسهم قرابين من أجل الأجيال القادمة لتكون لها الأوطان التي تطيب لهم فيها الحياة. وتمكن هؤلاء وأمثالهم من إعطاء أمثولة كبرى للقوى العاتية. هذه القوى التي بمقدورها أن تقصف العالم بكل وسائل الدمار وربما تحوله إلى أشلاء متناثرة.. ولكن هل هذا يمكنّهم بالفعل من إخضاع الآخر وتأمين السلام الذي ينشده العالم؟... يا ليتهم استعاضوا عن إستعراض القوة بسلوك دروب العدل والسلام.

وحدسنا يجعلنا ندرك أنه ليس هناك راية مهما كبرت يمكنها أن تغطي العار المتأتي من قتل الناس الأبرياء... واقتلاع آخرين من منازلهم... ومصادرة حريات آخرين أيضاً... والتنكيل بالنساء والأطفال.

كانت الأمثولة رائعة مع هؤلاء الإستشهاديين حيث لا أحد قوي كما يعتقد البعض ولا أحد باستطاعته أن يفرض مشيئته إذا كانت تخالف العدل والحق... ويبقى على القوى المتغطرسة أن تدرك أن عالم ما قبل الأحداث التي تعم اليوم مجمل أنحاء المعمورة قد مات، ولكن عالم ما بعد هذه الأحداث لم يولد بعد...

يعتقد المسؤولون في واشنطن أن العالم منبطح تحت أقدامهم ويستطيعون أن يعيدوا تشكيله على صورتهم وبالطريقة التي يختارونها.. فماذا كانت النتيجة؟. إن إرادة

مجموعة وهي قلة نادرة أسقطت هذه المفاهيم وجعلت الذين يفكرون بمثل هذه الخرافات سجناء معتقداتهم المسطحة... وأنهم في اعتقادنا إذا ما أصروا على محاولة تشكيل العالم على صورتهم سيكون نصيبهم الفشل...

إنها الحقيقة، وأنه الواقع، ومهما كانت هذه النتائج مرة لا مفر من قولها ولا بد من سماعها، أما دفنها، ووأدها فهو ليس في صالح المجتمع البشري... وبات عليهم أن ينظروا تحت أقدامهم لكي يعرفوا على أي أرض هم يقفون!...

إن الولايات المتحدة هي القوة التي وضعت نفسها ضد التطور، متصورة أن أي تغيير في العالم لن يكون إلا على حساب قوتها التي تخدم فقط مصالحها... وأحياناً يتساءلون في واشنطن لا بل كثيراً ما يفعلون ذلك لماذا يكرهوننا في العالم؟.

في الواقع الشعب الأميركي طيب وبريء ولكننا نكره سياسة الولايات المتحدة وانحيازها الوقح ضد حقوق الناس وضد مصالح الشعوب الحيوية.. وهذا لسان حال العالم كله حتى حلفاء الولايات المتحدة الأميركية متضايقون جداً من نهجها وغطرستها. ويبقى السؤال نفسه يتردد... إلى متى العنف؟...

إنتهاء العنف مرتبط بالإستعداد والقبول بمقومات

السلام العادلة... وقف العنف مرهون بإعادة حقوق مصادرة... التخلي عن العنف مرهون بتوفر الحكم النزيه...

متى تتوقف الولايات المتحدة الأميركية عن دعم طروحات إسرائيل وعداونية إسرائيل ووفق السيناريو الإسرائيلي ذاته....؟؟

إن العالم قد استيقظ من سباته بعد الضربات الشديدة التي أقدم عليها الأستشهاديون... وبات هذا العالم يتوازن في مواقفه إلى درجة معينة، غير أن الولايات المتحدة لا تزال إسرائيلية في طروحاتها، فتنحاز ضد حقوق جميع شعوب العالم...

ويتساءلون... لماذا يكرهوننا؟..

ويتساءلون... لماذا الإرهاب؟...

عندما تختلط الأمور، وينتهك ويستباح الحلم الوطني والقومي ولا يعود هناك بديل غير المواجهة يصبح الإستشهاد ذروة العطاء الوطني والقومي...

تدويل الكذب

من الحق الطبيعي لكل إنسان... لكل كائن بشري أن يعيش موفور الكرامة والحرية... ومن حقه المطلق أن يحيا وسط أجواء مريحة وفرحة، لا وسط أجواء الفزع والخوف... هذا الحق لا يجوز أن ينتزعه منه أحد كائناً من كان.

أن يتقدم إلى الأمام لا أن يتراجع إلى الوراء... أن يتطور... لا أن يتجمد ضمن قوالب محكومة الإقفال...

أن يشعر أنه للحياة... وأن الطبيعة هي ميدانه المتحرك في علاقة جدلية معه من أجل مُثُله وقيمه...

نعم من حقه أن يحيا لا أن يموت وهو حي... أن يشعر بنفسه كائناً بشرياً حياً...

وكم يشعر المرء بالأسى عندما يرى نفسه محاطاً بدبابير تهب عليه لإسكاته... كلما حاول أن يؤكد ذاته وأن ينأى بنفسه إلى السكون والسكينة... إنها تصرفات قوى شريرة تُثير وتُعقّد، تُضلل وتُغضب... وهذا ما يجعل الإنسان يعيش وسط هواجس تتراكم حتى تتحول إلى إنفعالات...

ولماذا يستغربون عندما تدفع تصرفاتهم تلك الإنسان إلى دائرة الإنفعالات وردات الفعل العنيفة؟. . .

هنا تبدأ اللعبة الجهنمية بين قوتين:

إحداهما تتلمس السلامة. . . غير أنها تثور لتحافظ على سلامتها. . . والثانية تتلمس مصالحها فقط، فتضرب بعنف للمحافظة على مكتسباتها وتأمين المزيد منها.

كلتاهما تستقوي بالله الخالق وتدخله في صراعها. . . الأولى تستنجد به متوسلة درب العدالة. . . والثانية تستقوي به وهي تطلق آلياتها الحربية المدمرة. . . الأولى لغتها طيبة ولكنها أحياناً تثور. . . والثانية لغتها عنيفة وتدميرية، تصوب مدافعها وتكثف من إستهدافاتها لإلحاق أكبر قدر من الأذى بالأولى.

وهكذا يبقى الصراع حتى النهاية وسيستمر بهذه الأساليب. . . الأولى تتوسل الصدق والثانية إيديولوجيتها الكذب. الأولى تنطلق من مساحات القيم والثانية تترجم الأوهام واقعاً والتخيلات سياسة تسعى إلى تحقيقها. . .

هذه اللعبة بدأت معالمها تظهر والنتيجة يحددها من يستمر فيكون هو الرابح ويخسر الآخرون. . . إنه صراع قائم ويزداد ضراوة يوماً بعد يوم. . .

كيف يحق لنا أن نصل إلى هذه الإستنتاجات المطلقة؟

لأنه في ظننا أن التراب يستحيل أن يبقى قادراً على

امتصاص الدم الذي بدأ يزداد سخونة. . . واعتقادنا منذ البداية، بداية مرحلة فرض سياسة الهيمنة والمصادرة لكل مقولات العدالة والحقوق وابتداع الأكاذيب أن تكون قد استنفدت. . .

حتى ولو جاءت مقولاتهم بأفضل تعبيرات الديبلوماسية وأكثرها ضراوة. . . فإنهم قد عولموا الخداع ودوّلوا الكذب. . .

هكذا وفي مواجهة الإفتراء على الحقوق والقيم، تتصاعد اليوم صيحات مواجهة القتل بالقتل. . . وأصبحت الشعوب مستعدة للتضحية بوجودها من أجل مبادئها وأهدافها. . .

وبتنا نلاحظ تنامي القدرة على التصدي لمنطق القوة. . . والمصادرة. . . وللآلة العسكرية. والمواجهة بدأت تتجاوز كل الحدود وهي مشبعة بالكراهية. . . وويل لمن لا يعمل على وأد الكراهية من أجل العدالة والصدق. . . لأن المحبة المشتركة غالباً ما تقرب المسافات وتلغي الفوارق وتعمم المباركة لتحل محل اللعنات والشتائم. . .

لماذا نبدي آراءنا بهذه الطريقة الفاصلة؟. . . لأننا ونحن نتأمل في العنف المتواصل الذي تقوم به الولايات المتحدة الأميركية ضد المستكينين. . . ضد الآمنين. . . ضد المطالبين بأبسط مبادئ العدالة والحقوق. . . ضد

معظم شعوب العالم، نرى كيف أنها تتذرع بدوافع قد تدفع من فرط تفاهتها أكبر الأنظمة الدكتاتورية إلى الإحجام عن مجاراتها في تبريراتها وفي أكاذيبها المصطنعة لإرتكاب تلك المظالم بحق الآخرين.

إن سياسة الولايات المتحدة القائمة على ثنائية غريبة: "تدويل الكذب وعولمة الخداع" قد دخلت في متاهات مظلمة وولّدت أوضاعاً مقلقة تثير الغضب لدى معظم الكائنات البشرية..

إنها، أي واشنطن تعمد إلى إضرام النار ثم لا نلبث أن نراها تأتي مسرعة بثياب الإطفائي تحت زعم أنها تسعى لإخمادها وتفرض علينا بذلك التفتيش عن مفتاح الحقيقة لكي نميز كذبها من صدقها.

الشيء المؤسف هو أن واشنطن وحلفاءها في منطقة الشرق الأوسط أي إسرائيل وسواها لم يدركوا بعد معنى هذا الهدر في حياة الناس؟...

وإن سوء استخدام الولايات المتحدة لقوتها العسكرية والإفراط في فرض تسلطها على العالم أدى وسيؤدي بشكل أكبر إلى ردات فعل قاسية ضد واشنطن وضد مصالحها... وسوف يزيد من ضراوة المواجهة...

إن من يملك فرض إرادته على العالم متحصناً بقوته لن يمنع إلى الأبد بعض هذا العالم على الأقل من أن يفرض عليه شيئاً بالمقابل إذا لم يكن كل شيء. إن من

يصادر أفكار الناس متباهياً بقوته ليصادر حياتهم الخاصة والعامة... سيجد نفسه في لحظة ما في موقع ضعيف تُفرض عليه فيها مشيئات قوىً معارضة له...

وفات أولئك المتغطرسين أن الكذب بجميع أشكاله وبالمستويات المختلفة هو تشويه لصورة الأمم ولمغزى وجود الإنسان.

لو ألقوا نظرة معمقة على الماضي لاستخلصوا العبر. فأين أصبح الجبابرة الذين كانوا من قبلهم؟!.وفي الحقيقة ليس أبلغ من التاريخ حجة ومن الواقع سنداً ومن الأحداث دليلاً...

إنهم في استكبارهم يلقون الحجة على غيرهم وفي الواقع نرى الحجة تعاد إليهم. إنهم يفرضون الرأي، وهو مأخوذ عليهم... وغالباً ما يستندون في أعمالهم العدوانية إلى مقولة الدستور ومبادئ حقوق الإنسان وهم أول من يخرقه ويتجاوزها كل يوم وفي كل ممارسة...

إنهم يسيرون في نهج غير مقبول من كل ذي عقل...

كيف يقومون بكل ذلك؟. ببساطة هو الهوى يهيمن فيذل... والغرض يستبد فيبطش... والعقل غاب فساد الجنون والتهور...

إنهم في الولايات المتحدة جماعة قد كرهوا الآخر من أجل أنفسهم، فحق للعالم أن يبادلهم كرهاً بكره... نبذوا العالم فحق للعالم أن يلفظهم... أدانوا كل

الكائنات البشرية تحت ذرائع الجهل والتخلف فبادلتهم هذه الكائنات التوصيف بالتوصيف عندما سمَّت الأشياء بأسمائها واتهمتهم بالتعصب وانغلاق العقل وجفاف العاطفة...

نصّبوا أنفسهم أوصياء على العالم، وإذا بالعالم يعتبرهم بأنهم هم أول من يجب أن يعامل معاملة المحجور عليه.

إنهم من فرط القوة قد فقدوا العقل... وأن كل ما تبقى لديهم ليس إلا عربدة غريزية متغطرسة يمارسونها للتغطية على إخفاقاتهم... ولدينا للأسف أنظمة تنجر إلى دائرة النفوذ الأميركي لتحتمي به من ردات فعل شعوبها..

إن القيم التي كنا حريصين عليها تبعثرت، والأنماط التي كنا نرتبط بها تآكلت... ومع ذلك يتحدثون عن خطيئة الغرور، بينما تتحدث الشعوب عن فضيلة التواضع ومعاني العدل والصدق...

وإذا ما تابعنا سياسة الولايات المتحدة في بعض إحداثياتها نستنتج بوضوح أنه لا حدود لوقاحتها...

ومع ذلك يتساءلون لماذا كل ردات الفعل هذه على ما نقوم به، كما لوأنهم أبرياء وأتقياء وأنقياء...؟؟

فاتهم أنه من يريد الإستقرار والسلام يجب أن يكون مستعداً لأن يدفع الثمن المطلوب لا أن يستولي على مقدرات العالم وثرواته متذرعاً بمعزوفة مكافحة الإرهاب.

الحقيقة التي أراها هي أن محاولة قلب الطاولة في اللحظة الأخيرة ولو بثمن دموي باهظ قد تكون محاولة صحيحة وضرورية...

بات علينا، أي على الشعوب المقهورة أن تنتفض... أن تثور حتى تتمكن من إخراج القوة الكامنة في أعماقها وفي ذواتها، لعل تلك القوى الطاغوتية المتعصبة تشعر بأن مغامراتها ضد الآخرين سوف ترتد عليها بالذات.

صار واجب علينا بعد كل ذلك إحباط ما يروجون له من أن التاريخ تصنعه معادلة القوة...

عولمة الفساد!..

القوى العظمى تسعى دائماً إلى قيادة الأمم الأخرى وخاصة الضعيفة منها بشتى الأساليب مهما كانت دنيئة، وتختار من يسهّل مشاريعها ويقبل بتوجيهاتها، فتساعده وتدعمه ليكون في سدة السلطة حاكماً بأمرها...وتبسط أمامه الخيرات ليغرف منها ما شاء له ولحاشيته.... فيُطرب لذلك وينصرف عن شعبه لإرضاء أسياده الحقيقيين... ولتأمين استمراريته....

وعبثاً يحاول حلفاء العدالة والديموقراطية الحقيقية، إقامة نظام سوي، لأن التعاقد الجهنمي بين القوى العظمى وبين السلطات أصبح ثابتاً وقادراً على مواجهة كل الخصوم وإفشالهم في كل ما يرمون إليه...

وهكذا بالفساد ينتجون الحاكم... وبالفساد يدعمونه... ومن الفساد يستمد الحاكم قوته واستمراره...

أليس هذا هو التقارب والتماثل الحي مع ما يسمى العولمة؟... نعم ولكن إنها عولمة الفساد!...

... وغني عن الإشارة إلى أنه أحياناً تكون العدالة بمفهومها الضيق أميل إلى أن تفسد بسبب إلتهاب المشاعر

في السياسة... وأيضاً بسبب هذا التلاعب القذر بشؤون الآخرين الذي كان يحصل تحت عنوان: "التدخل"....

وتصبح مع ذلك المزايا المطلوب توافرها في الحاكم... هو في أن يعرف كيف يقول لهم نعم ويقول للآخرين لا... ولشعبه يقول: لا أعرف وإذا تحرك الشعب يقمعه بالعنف ويتسلط عليه بالكبت والكرباج...

.. والميزة الكبرى التي تأنس إليها القوى العظمى هي أن تكون قابلية هذا الحاكم للفساد مرتفعة جداً... تتبلل مشاعره بالخسة، وأفكاره تتراكم فوق هضبة من القش.... وباختصار يريدونه أن يقف منتصباً ولكن على تلة من غبار.

ويذهب قادة القوى العظمى لتزيين سلطته إلى امتداح نظامه "الديموقراطي" وكل من يعارضه فهو مُعاد للديموقراطية وللحرية وللعدالة أيضاً...

وبتحديد واضح، فإن الفساد هو إساءة استعمال السلطة العامة من أجل مكاسب شخصية.

إنهم شعوب القوى العظمى تأخذهم الدعاية ببلاهة فيتحولون إلى مقتنعين بأن معركة الديموقراطية والحرية يجب أن تخاض بكل الوسائل. ولكن متى سيعلم هؤلاء أن هذه الوسائل قد أدت وسوف تؤدي إلى تدمير الديموقراطية والحرية والعدالة التي يدعون الدفاع عنها...؟؟

والجدير ذكره أن الفساد يقوّض الشرعية حتى شرعية الحكومات الديموقراطية. وفي أشكاله المتطرفة يمكن للفساد أن يهدد الديموقراطية نفسها لأنها تقوم على الثقة، والفساد يهدم هذه الثقة لأنها تقوم على وحدة المصالح، والفساد يخضع هذه المصالح لسلطة المسؤولين المنتفعين بها، ولأن السلطة تقوم على مبدأ حكم الشعب، فالفساد كفيل بتقويض سلطة الناس وترويض حكم الشعب.

وهنا يحق لنا التساؤل... أليست الديموقراطية نظام مجتمع؟... أليست الحرية مبتغى كل الناس؟... والتحرر أليس للوطن؟...والعدالة أليست لضمان حقوق المواطنين؟....

إذاً لماذا ندمر الوطن... ونقتل الناس.... ونغيّب العدالة.... ومن ثم نزعم بأننا فعلنا ما فعلناه من أجل هؤلاء... الناس؟.

يقولون أن حجة القوي هي الراجحة دائماً.. نعم وستبقى الأمور كذلك إلى أن تتجلى بشكل واضح الحقيقة التاريخية حقيقة العلاقة الجدلية بين بني البشر وعندها يدركون أن حجة الحق هي الناجحة مهما طال الزمن ومهما عظمت التضحيات من أجله...

ونحن بكثير من التفاؤل نقول إن الحقيقة في النهاية ستفرض نفسها وتجرف في طريقها كل شيء باطل.

وكلنا أصبح يعلم ماهية المبدأ الخسيس الذي يحكم

سلوكيات من يدّعون أنهم "أسياد البشرية " . . . "كل شيء لأنفسنا ولا شيء لغيرنا " .

ألم تعلم الولايات المتحدة الأميركية بعد أنه من أبسط البديهيات الأخلاقية، هو في أن نطبق على أنفسنا المعايير ذاتها التي نسعى لتطبيقها على الآخرين؟

إن موقف واشنطن الداعم للفساد والمفسدين، وإحتفاظها بضعفاء النفوس الذين يماشونها في كل ما تريد حتى ولو كان ذلك ضد أوطانهم قد بات علامة فارقة للسياسة الأميركية. . . إنها سياسة مزمنة لواشنطن التي تقول بعكس ما تفعل.

فمن الذي ساعد أعداء الديموقراطية المتشددين ويُساعد على خلق جوٍّ قاتل للديموقراطية غير الإدارات الأميركية المتعاقبة؟ والحقيقة المجدية هي في القول: إن الديموقراطية تجنح دائماً إلى عكس أهدافها في ظل نظام فاسد.

وفي الواقع لن يكون هناك نظام ديموقراطي إذا لم تكن هناك علاقات إجتماعية نظيفة وسليمة حامية للحرية وللعدالة. . .

وعلى عكس ما نتصوره في عالم المثاليات والقيم، ففي عالم المصالح لا مكان إلا للقوة. . . ومع هذا نستطيع التشبه بحكمة معبرة: "إن قلة التبصر سيكون لها العواقب المهلكة" .

والحديث عن سياسة ومنهجية الإدارة الأميركية البوشية فيه جوانب مسلية فعلاً... إذ أمضى جهابذة المحافظين الجدد ما يزيد على عقد من الزمن في اللعب على أوتار الإرهاب ولكن في الحقيقة كانوا يرقصون له مبتهجين...

وأمضوا سنوات في اللعب على أوتار أسلحة الدمار الشامل وكان ما كان... لقد وقعوا في ورطة لن تقتصر نتائجها السلبية على سياساتهم في الشرق الأوسط وإنما ستكون بالذات تداعياتها كبيرة وخطيرة في الولايات المتحدة الأميركية بالذات.

وراحو يعزفون على أوتار السلاح النووي خشية أن تمتلكه إيران... إنهم لا شك يعيشون في متاهات من الإرتياب والمغامرات... لقد باتوا لا يدركون ماذا يفعلون ولم يفقهوا بعد خطورة ما أقدموا عليه.... حتى صح بهم القول: إن من يبيع الشاة سيقوم لاحقاً هو بذبحها.

إن الولايات المتحدة الأميركية بدعمها للمفسدين والفاسدين، وتقويتها للأنظمة المعادية لشعوبها، والسير بالبشرية إلى المجهول إنما تتصرف كلقيط ثمل تائه يعلو صراخه في الطرقات... ولكن الحذر منه واجب والنظر إليه كقاتل أو التعامل معه كمجرم سفاح تؤكده الدماء المسفوكة بآلة الحرب الأميركية في أكثر من مكان في العالم...

وفي نهاية المطاف لا بد من النظر إلى السياسة الأميركية على أنها إمبريالية متعجرفة في عصر ما بعد الإمبريالية وأنها إستعمارية في عصر ما بعد الاستعمار.

وكم يكون من الضروري أن يدرك قادة الولايات المتحدة الأميركية أن قوة الدولة العظمى تتقلص إذا ما تمادت في التحالف مع الأنظمة الفاسدة وإذا ما توقفت هذه القوة عن خدمة فكرة ما. . . .

إن الديموقراطية التي يدعون السعي إلى تعميمها هي الخصم العنيد للفساد. لقد أضحت الديموقراطية في ظل الأنظمة المستسلمة والفاسدة واحدة من أكبر الأكاذيب، لأن لا وجود لها فعلياً وهي إن وجدت إنما تكون قد حلت ضيفاً ثقيل الظل وغير مرغوب به.

إننا نعيش في حالة مؤلمة: عنف الفقر، وعنف النهب، وعنف النظم المتسلطة التي تملك في العادة دساتير ديموقراطية وطلاءً من مواثيق حقوق الإنسان. . . غير أنه إختلط عندها الخاص بالعام وأصبحت كل الشؤون بأيديها، وكل الأمور بتصرفها وكل الموارد ملك لها. . .

الديموقراطية ترتكز على إلتزام المسؤولية بحدود القانون. . . وفسحة الفساد لا تتسع ولا تتقلص إلا بالحدود التي تتجاوز فيها المسؤولية حدود القانون. . .

من هنا نستطيع القول إن العولمة المعاشة هي ظاهرة

تجديدية للاختلاس والإستغلال وكسب خيرات الشعوب ومقدرات الأوطان...

إن العولمة السائدة هي إلغاء المكان والزمان وإحلال الشؤون الاقتصادية مكان الجغرافيا السياسية...

وإذا ظهر لنا تباين ما أو حتى إختلاف معين بين القوى العظمى فيكون سبب ذلك فقط الاختلاف على تقاسم العالم واستغلال خيراته وتقييد شعوبه.

إننا نعيش في ظل عالم على تناقض تناحري مع قيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان...

لذا نحرص وببالنا دائماً التساؤل: هل نحن مع تحطيم الأسوار و جرفها؟ هل نحن مع تدمير السدود أم بنائها؟ هل نحن مع الإنتماء إلى أمة عزيزة قاهرة أم إلى أمة خائفة مستسلمة؟...

ووقائع الحاضر تجيبنا: أننا عبدنا آلهة من دون الله وسحقنا الإنسان فتمزق... وضللنا الطريق فانهزمنا لأننا كنا نبني سلطة ولم نكن نبني دولة، لقد أخذتنا المغريات الباهتة فأندفعنا حتى أصبحنا في مدى الفساد والمفسدين.

النيوليبرالية تبُذ الديموقراطية

من البديهي جداً أن الدولة التي لا وزن لها، قد تكون قاصرة عن توفير الحياة الآمنة للناس والمستقبل النظيف لهم ولأطفالهم... هذه حقيقة تقتضي الضرورة أن ندركها وأن يقتنع بها الجميع... حيث إنها مسألة أساسية وجوهرية في النظام العالمي الحالي النيوليبرالي والإحتكاري...

والشيء المسلم به في نهاية المطاف هو أن الذين ينتجون ويصدّرون الشرور هم موضوع الشفقة بالمقارنة مع الذين يتلقون مثل هذه الشرور على طريقة أن صانع السم آكله لا محالة. و صدق الذي اعتبر أن المجاعة يمكن أن تحصل مع وجود صوامع مليئة بالقمح... لأن عالماً لا تتوازن فيه الإعتبارات الاقتصادية بالمصالح الإنسانية الأخرى يمكن أن يكون عالماً قاتماً.

و بينما كانت الدعوات إلى الأنسنة في العلاقات الدولية تتلاشى، كان العالم ينكمش ويتراجع دور الدولة وتحل محلها علاقات السوق المنفلتة من عقالها... ونتيجة ذلك لا تتوقف القوى المهيمنة عند الربح الاقتصادي بل جعلته ربحاً على حساب الديموقراطية...

إن الحكومات التي حاربت في الماضي من أجل السيادة على الأرض أضحت اليوم تقاتل بشكل عام من أجل مؤشرات السوق، وغدت إحدى الوظائف الأولى لهذه الحكومات هي إيجاد أرضية صالحة لاجتذاب الرساميل والشركات.

لماذا نتعمق في ذلك؟ لأنه بات من المسلم به أن التجارة الحرة على مستوى العالم راحت تنتصر على الديموقراطية في كل رهان.

فالواقع الصارخ الذي عكسته حدة الأزمة المالية العالمية في الأشهر الأخيرة لولاية بوش الإبن تثبت أن التجارة الحرة لا تتوافق مع أسس الديموقراطية. . .

من هنا علينا الأخذ بعين الإعتبار، أن تقويض الديموقراطية يعني أيضاً تقويض الحرية وبالتالي إخضاع الإنسان للمصالح الاقتصادية للقوى النافذة تمهيداً لقهره. . .

وعلى هذا النحو ينشأ وضع عجيب غريب يتسم بإقتصاد ينمو باستمرار ورفاهية تتراجع بلا انقطاع. إنه إقتصاد عقيم غير مجدٍ فعلاً.

ونحن نلاحظ أن السياسات المنتهجة في زمننا الحالي وما يسمونه حقبة الليبرالية المحدثة، تسحق الدولة التي وجدت نفسها عاجزة عن مواجهة مستحقات وموجبات

مبررات وجودها، كما تجاهلت الإنسان الذي جعلته يركض وراء سراب لا نفع منه ووهم لا خير فيه.

وبمقدورنا أن نستنتج أن هذه السياسات الليبرالية التي يحلو للبعض أن يسميها المحدثة، قد زادت من مشاكل الإنسان وضاعفت في التباعد بين طبقات المجتمع وزادت الصراع حدة بين الأغنياء والفقراء، حتى بتنا نشعر أننا نتراجع كل يوم إلى الوراء كلما عملنا جاهدين للتحرك إلى الأمام.

وهكذا وجدنا أنفسنا نعيش محاطين بعالم القريب منه والبعيد، الفريد منه والمتنوع، الموحد منه والمشتت، الحيوي والثانوي، المندفع والمنطوي، يتخذ في كل يوم عنواناً جديداً لقضيته ويسلك درباً آخر غير الدروب التي اعتاد سلوكها، وغالباً يخرج علينا بمفاجآت جديدة تسبقنا في كل إحتمالات المعالجة أو المواجهة.

هذا العالم يجنح في أغلب الأحيان ليبرز مفاهيم فوقية تستخف بجميع الأعراف والقيم وتحاول أن تخلق قواعد جديدة لا ترتبط بشيء بتاريخ البشر أو بعاداتهم وتقاليدهم، وأيضاً لا صلة لها بقيمهم.

يجب أن ندرك في النتيجة أن فهمنا الحقيقي لذاتنا يمر بالضرورة عبر فهمنا للآخرين وأن الحوار هو في الواقع سبيل التلاقي بيننا وبين الآخر.

وعلى بني البشر أن يستفيدوا من الإمكانيات المتاحة

لهم وأن يساهموا في قيام عالم يستوعب الجميع... يُبرز فيه من يدرك ذاته وماضيه وحاضره، ويتفاعل معه من يملك الرغبة الكاملة والإرادة القوية لبناء المستقبل، شرط ألا يقوم هذا العالم على الهيمنة والاستغلال.... وإنما يرتكز بالذات على الخير العام وردم الهوة بين الشعوب الفقيرة والغنية... والواجب الملح على القوى النافذة يدعوها إلى تجنب كل ما يثير الظلم والغبن والإحباط لتجنب ردود الفعل على كل ذلك...

ولماذا لا نقدم الدليل الحسي القائم أمامنا على ما نقول؟... ألم تسقط إدعاءات الولايات المتحدة الأميركية التي توهمت لزمن معين أنه بمقدورها فرض إرادتها على شعوبنا؟ ألم تجتر فشلها في حتمية إخضاع الآخرين بالقوة والإكراه؟...

ألم تسقط مقولاتها بتغيير العالم الآخر ليتحول إلى نسخة طبق الأصل عن واقعها؟... ألم تتراجع عن فرض ثقافتها كبديل عام عن ثقافات شعوب العالم؟.. ألم ترتكب واشنصن المزيد من الإعتداءات والمجازر لاستمرار هيمنة نظامها على مختلف مناطق العالم؟ ألم تدرك عمق الهوة بينها وبين سائر حلفائها بسبب غطرستها واعتماد أساليب الإلتواء والكذب والخداع؟...

ألم تنكشف كل إدعاءاتها؟

إن الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن قد انهزم في

بلاده قبل أن ينهزم خارجها... وفي الواقع إن الإنسان عندما تشب النيران في بيته لا يعود بإمكانه الاهتمام ببيوت الآخرين.

وهكذا بتنا نشاهد كل يوم سياسة هنا وتصرفات هناك... ونلاحظ كذباً هنا وادعاءات هناك. وبينما نحن نراقب بشيء من التعقل إذ بنا نشاهد سياسة مقلوبة تمشي على رأسها..

كيف يمكن للولايات المتحدة أن تدعي الإنتصار وهي غارقة في تناقضاتها وأزماتها؟...

إننا نرى بالعقل وبالدليل والتجربة أن الولايات المتحدة الأميركية باتت معقدة من كل من لا يشاطرها الرؤية ذاتها للعالم.

وبصراحة إذا ما استمرت واشنطن في غيّها وركوب أمواج المجازفات ولم تتمكن من مواجهة تداعيات سياساتها فإن قابليتها للحياة والتطور ستكون عندئذ موضع شك كبير.

إننا أمام معادلة غريبة عجيبة: التمزق يتعمق ويتوسع كبقعة زيت لا أحد يتطوع للحد من انتشاره وهو بات يغزو أنحاء بعيدة وقريبة في العالم..

إن كثيراً من البلاهة قد أصاب بعض المجتمعات فذهبت إلى الموافقة على مقولات وا شنطن والتحقت بكل ما ذهبت إليه هذه الأخيرة..

وفات هؤلاء بأن الذين يلملمون مواريثهم الرديئة يستحيل عليهم ستر عوراتهم بخرق بالية يعتورها الكذب والخداع. . .

إن كل سياسة لا تتلاقى مع قيم البشر وتطلعات الناس مآلها السقوط. . .

إن النهج الأميركي ماكر يعتمد دوماً على التخويف والترهيب والوعيد لكل من لا يقر بأفكارهم وثقافتهم ومعتقداتهم وسياساتهم.

والحقيقة الساطعة أن الذين لا يمييزون الحقائق من الأوهام. . .والنفع العام من التضليلات يتعذر عليهم الاضطلاع بعمليات التغيير.

وأن جريمة الولايات المتحدة الأميركية الأساسية تكمن في قناعتها المطلقة بإستخدام العنف لفرض مشيئتها وبالذات لفرض معتقداتها. . . ولكن للأسف فاتها أن العنف يؤدي حتماً إلى إستيلاد العنف، وأن الدم يُستسقى بالدم. . .

ماذا فعلت واشنطن القوية عسكرياً والمقصرة في القيم والعاجزة في المفاهيم العامة؟ قدمت للعالم شذرات من أدلة موهومة وأمثلة كاذبة لتبرر استخدامها للقوة. . .والأسوأ أن القيادة في الولايات المتحدة جنحت في ستر الظلام لتدعي الرسالة المخلِّصة. . . هذا ما حصل مع العراق. . . .وكذلك مع أفغانستان. . . وسواهما من

البلدان في مختلف أنحاء العالم. . .لقد وقعت هذه القيادة الأميركية " النبوية " فريسة للأمراض العقلية والروحية فتحولت إلى وحش مفترس وراحت تمعن في قتل الأبرياء وتدمير الأوطان؟. . . . .

لقد أوقعت قيادة واشنطن النظام الأميركي وشعبها في مأزق حقيقي وقادت سياساتها إلى طمس ما تدعيه من قيم تاريخية وألغت كل حصانة للمجتمع الأميركي، وأساءت إلى المجتمعات الأخرى بتشويه قيم المساواة والحرية ومبادئ الديموقراطية. . .

وغني عن القول إنه إذا ما استمر انحراف النظام الأميركي بكل مندرجاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. . . . . ولم يكف عن مجازفاته، فإن قابليته على الإستمرار والحياة ستكون موضع شك كبير. . .

العالم ليس ملك لأحد، إنه عالم الإنسان. . . عالم البشرية المتحررة وليس عالم واشنطن المتغطرسة. . .

الولايات المتحدة

.. وحقنا في الحياة

كل فكر حر لكي يجد نافذته إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لا بد له من أن يرتفع فوق كل مصلحة مادية. . وأن يُنزَّه طريقه إلى التنفيذ من كل زيف. .

وواجبنا بات يلح علينا أن نستجيب لنداء الحاجة الملحة والمتزايدة إلى مجتمع بديل لا تشوّه فيه إدارة العمل الجماعي، ولا تخضع فيه العلاقات إلى سلطة الرأسمال المتوحش المتفلت من أية ضوابط، ولا ترهن فيه حرية ولقمة عيش الناس إلى حركة رأس المال المعولم.

إن ما نشعر به اليوم هو الحاجة المتزايدة إلى عالم مختلف، عالم جديد تتبدل فيه العلاقات الاجتماعية، عالم يصبح فيه الإنسان هدفاً بحد ذاته، وتعم فيه الحرية وتزدهر فيه عناصر تَفَتُح الشخصية وتتطور القوى البشرية.

ونحن في عالمنا كم قصرنا بحق أنفسنا، فأهملنا مرافقنا أو أخذناها بغير حزم، حتى وقعنا في التأخر بينما

كان جدير بنا أن نتقدم. لقد وقعنا في وحول التخلف ونحن يجدر بنا أن نتطور..

دائماً نتغنى بتاريخنا.. ولا نفكر أين نحن اليوم؟ أو ماذا سنكون عليه في المستقبل؟.. ومن قال أن التاريخ يحمل الصدق والحقيقة؟

فيما يتعلق بي، طالما كنت أشكك بالتاريخ. أخافه دائماً لأنه يكذب كثيراً. وإذا ما صدق مرة فيكون ذلك لهدف خارج عن إطار مهام التاريخ. وإذا ما تطابق مع الواقع مرة فيكون ذلك بالصدفة.

إنه أي التاريخ وثيقة لا ترتبط بالواقع ولا بحقيقة الوقائع..لأن من يكتب التاريخ هو المنتصر..أو من يوقع الشيكات..

ومن يعرف التاريخ؟ وماهو التاريخ؟..

في إعتقادي يجب أن نتجاوز كل التحديدات وأيضا كل التوصيفات..وأن نعتبر أن التاريخ هو الزمن..

فهو إعلام عن أحداث زمنية يصعب بلوغها والنظر إليها بموضوعية. ألا يبدو أحياناً أن المال هو الذي يروج للسياسة التي يريدها.. وهي بدورها تؤمن المال لمن يمتلك السلطة..؟

أليس بين السلطة وأصحاب المال قواسم مشتركة لا حدود لها؟.

لقد ولد جميع الناس سواسية. .وقد منحنا الخالق حقوقاً، إنتهاكها يمثل الكفر بذاته. . كالحق بالحياة، والحق في التقدم والتطور. .

ولعل الجاذبية الخاصة لقضية اليهود ومستقبلهم كما يروجها الصهاينة قديمهم والجديد منهم كانت متمثلة في أنها من تصميم الرب الذي أراد إظهار التفوق الأخلاقي الأساسي لفريق دون سواه. .!!؟

ولكن ما العمل؟.

ألا نرى أن الكثيرين غير آبهين بالتاريخ والواقع والمنطق، متجاهلين القيم الإنسانية والأخلاقية، متغاضين عن مبادئ شرعة حقوق الإنسان بأكملها؟.

وأصبح لا بد من التأكيد أنه بإمكان العرب الخروج من دائرة المهانة والإذلال التي يلامسونها ويحصل ذلك فقط عندما يفهمون أنفسهم ومكانتهم في هذا العالم، ويستوعبون طبيعة عدوهم وجوهره على نحو علمي عميق ويتعاملون مع الأشياء من منطلق الفعل وليس رد الفعل.

أول ما يفترض بالعرب القيام به هو إجراء عملية تقييم دقيق لصداقاتهم، وتطبيق المبدأ المأثور في صداقاتهم وعداواتهم: الثواب والعقاب. .

على العرب أن يفرضوا وجودهم في اللعبة الدولية لا أن يعيشوا مرحلة الإسترخاء والإنكفاء والخضوع المستمر

لمن يخشون أن يتمكن منهم ويظنون أنه ليس بإمكانهم مواجهته وإسقاط محاولاته ضدهم.

كما أنه يفترض بهم أن يستفيدوا من تجاربهم السلبية عن طريق تفاديها لا أن يتمادوا في هدر الوقت وتبديده عبر مسايرتهم ومغازلتهم لأسياد النظام العالمي الجديد..

وإن السلام ليس فقط هو عدم وجود الحرب، كما أنه لا يقتصر على تأمين التوازن بين القوى المتخاصمة ولا يأتي أيضاً عن سيطرة إستبدادية، إنما هو ثمرة نظام رسمه الله في المجتمع الإنساني لا يتحقق إلا بسيادة العدل ولا يستتب دون الحفاظ على خير الأشخاص والمجتمعات، فالحرية الحقيقية للإنسان أو للذات الحرة في البشر هي بمثابة علامة مميزة عن صورة الله فيهم.

إن مبادئ السلام الحقيقية هي دعوة إلى الحرية والديموقراطية في ذات الإنسان وإلى الخير المطلق لكل شعوب الأرض.

والدعوة إلى السلام لا تلتقي مطلقاً مع من يضمر الحقد لسائر الناس، ويتعمد فعل الشر لكل الشعوب.

وبينما نجد أن الديانات السماوية توحي جميعها بالعطاء، وتصرّ على الأمل والرجاء والفرج، نرى أن اليهودية الصهيونية مركبة من مجموعة مصالح لشعب معين، اختار نفسه ليكون شعب الله المختار. إنها حركة عنصرية تسعى إلى هدم المسيحية وتعتبر الله خادم الشعب

اليهودي وحده، في حين ترى المسيحية إن الله من الأزل وإلى الأبد، والإنسان ولد في مرحلة معينة ويستمر في الروح مع الله إلى الأبد. . .

وهكذا نلاحظ أن المسيحيين يلتزمون بالديموقراطية بصفتها الحماية الوحيدة لقدسية الشخصية الإنسانية، ولأنها بالذات تحدد بشكل واضح ومتزن حدود العلاقات بين الأفراد والجماعات.

إن النظام الديموقراطي الذي لا يعترف بالمساواة، وحقوق الفرد وأولوية المجتمع المدني هو نظام هجين لا علاقة له بالديموقراطية وقد تم تفصيله على مقاس حكام أغبياء يهتمون فقط لمنافعهم الخاصة ولمصالح أعوانهم. .

إن الدفاع عن الفقراء بوجه الأغنياء وفسادهم الذي ألهم الشباب وحثهم على العمل من أجل إنتصار فكرة الذات الحرة قد أثار غضب ذوي السلطات، المستكبرين فلجاؤا إلى استخدام القوة للحد من اندفاعة أصحاب الحقوق.

إن الولايات المتحدة دائماً تستغل الفرص حتى تتمكن من ترجمة قوتها حضوراً سياسياً طاغياً، وسيطرة ثقافية عارمة. . .وغلبة كاملة في الاقتصاد.

وهكذا نرى أن الأزمة تتفاقم وتتعاظم، كتعاظم الماء في الوعاء من كثرة الغليان.

إن خطورة الحلفاء الأقوياء لا تقل سطوة عن خطر الأعداء، شأنهم غريب، فهم الذين وجدوا منذ القدم إنتماءاتهم السياسية تتقدم على عصبيتهم الدينية.. ولكن مع الأسف ترسخت في أعماقهم عصبية شديدة الفعالية لا يقدّمون عليها متقدم... ولا يترددون في اقتراف الجرائم الشنيعة بسببها... ألا وهي الشعور بالتفوق بقوة المال والسلطة!!

والذي يجب التوقف عنده هو التعامل بفعالية أكبر مع تزايد إنعدام المساواة في الشروط الإنسانية من أجل خلق توازن دولي جديد فعلاً وعدم الإكتفاء بمناشدة الضمير العالمي.

وكذلك إدارة علاقات القوة المركزية في عالم تتغير موازينه الجيوسياسية، وذلك عبر إعادة تشكيلها، وإعادة تحريك التطلعات القومية في سبيل نشوء نظام جديد يحدد معاني التعاون، وأيضاً يرسم حدودها ويقوم بتوجيهها..

وهكذا لم يعد التفوق العسكري الأميركي بحد ذاته قادراً على تقديم الأجوبة على أسئلة عالم مذهول في ذروة يقظة سياسية واسعة الإنتشار، إن في آسيا المضطربة أو في أوروبا غير المتيقنة من دورها أو في روسيا التي يكتنفها الغموض الذي ينطوي على قوة كامنة.

أما فيما يتعلق بالعالم العربي، لقد تعززت القناعات وتوضحت الصور لدى شعوبه عن أن الولايات المتحدة

تتلاعب بالتطلعات العربية للمحافظة على سيطرتها على نفط المنطقة.

على أميركا أن تعيد النظر كلياً بسياساتها.. عليها أن تجدد نفسها لتبرر ما أطلقته على نفسها من أنها الأمة التي لا يستغني عنها العالم.. وإلا ستبقى مكروهة من الجميع وعدوة للجميع.

وعلى أميركا أن تدرك، أن السيطرة العالمية الخرقاء لدولة واحدة لن تدوم عملياً لأنها معادلة متصادمة مع منطق التاريخ..

وفي اعتقادي أنه يمكن أن نشهد في مرحلة ما ظهور إئتلاف أكثر توجهاً لمعاداة الولايات المتحدة الأميركية قد يجمع الصين والهند في أسيا وروسيا في أوراسيا التي يمكن أن تجتذب بدورها إيران في مرحلة ما إلى هذا الحلف.

يذكر أن لينين دعا ذات مرة إلى قيام حلف مناهض للغرب يضم: روسيا، الهند والصين... مع الإشارة إلى أن مثل هذا الحلف لو حصل سيضم 40% من سكان العالم و44%من مساحته و22%من ناتجه المحلى الإجمالي.

عظمة الاستشهاد
دفاعاً عن الحق وصداً للعدوان

إن الذي يضحي بنفسه هو من تأكد أن القضية التي يناضل في سبيلها أضحت عنده أغلى من حياته وباتت تستحق منه أن يقدم حياته لأجلها.

لقد آثر أن يفتدي شعبه بوجوده المادي، إنها حالة عصية على إدراك الذين تلوثت نفوسهم بأدران التعصب لترهات تاريخية مملة وممجوجة قد أدمنوا عليها.

وفي قناعتي أن مقاتلي المقاومة يمتلكون حساً عميقاً بحب الغير وفكراً خيِّراً للصالح العام... وهذا أمر يرفضه من ادعوا محاربة "الإرهاب".

إن العمليات الإستشهادية هي شكل من أشكال التضحية الفردية أو المقاومة الفردية باسم الجماعة.

ولكن في فلسفة ونهج دول الإستكبار: الإستشهادي هو الذي يسمونه "إرهابي"، أي هو إنسان لا يتمتع بصفات الإنسان العاقل، المفعم بالروح الإنسانية، ولا مكان عنده للعاطفة. لذلك يعتبرون أن تصفيته الجسدية أمر جدير بالاهتمام.

إنه نظام الكيل بمكيالين الذي تقوده الإدارة الأميركية المحافظة. فهي مع إسرائيل على طول الخط، تدعمها فيما تقوم به من قتل وإضطهاد، وتقف إلى جانبها مهما كانت الدوافع ومهما بلغت النتائج...

وليس أبلغ للدلالة على الإنحياز الأميركي المطلق لإسرائيل من استفتاء أجراه الإتحاد الأوروبي عام 2006 كانت نتيجته أن معظم الأوروبيين يعتبرون أن إسرائيل هي التي تمثل التهديد الأكبر للسلام وللعدالة.

وبالرغم من ذلك لم تكلف أميركا نفسها عناء البحث عن: لماذا هي مرفوضة في العالم بشكل عام وفي العالمين العربي والإسلامي بشكل خاص؟

إن الولايات المتحدة قد أقامت الدنيا ولم تقعدها بعد، لماذا؟ لأن إيران تسعى للحصول على تكنولوجيا نووية سلمية. و أميركا وإسرائيل تستنفران العالم خشية أن يصبح لدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية سلاحاً نووياً

لماذا هذا الذعر؟ ولماذا هذه الحملة المسعورة؟. ما دام لدى إسرائيل مئات الرؤوس النووية... وما دامت إسرائيل ترفض التوقيع على معاهدة حظر الأسلحة النووية...

وفي هذا المجال بالذات أتمنى لو أن دولة عربية واحدة أو أي دولة إسلامية مثل إيران لديها المقدرة على إنتاج أو إمتلاك سلاح نووي...

لماذا؟

لأن ذلك يساعد على إقامة توازن رعب مع إسرائيل النووية، ومن ثم يساعد في التوصل إلى سلام عادل لجميع مشكلات المنطقة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية...

إن المسار الذي يقوده المحافظون الجدد يؤكد لنا في كل لحظة أن جوهر خطتهم في الشرق الأوسط يقوم على السعي إلى القضاء على أعداء إسرائيل حتى ولو أدى ذلك إلى الإضرار بالمصالح الأميركية... ولا يتناقض ذلك مع مشروعهم الاستعماري ولو أدى إلى الإستيلاء على مواردنا وثرواتنا الطبيعية...

وعندما يتحدث المحافظون الجدد عن صراع الحضارات أو صدامها أو حتى عن الصراع الثقافي إنما يغطون بذلك ميلهم لإبادة الآخر تحت مسميات ذكية وخادعة، فينشرون الحساسيات العالية ضد الإسلام والمسلمين و يستدعون بذلك إستنفاراً حاداً ضد منهجهم ومقولاتهم. إنهم يرتكبون في الواقع جريمة ضد الإنسانية...

... إن القوة التي تلعب دوراً عالمياً في فرض النظام، لا يمكن أن تحقق تقدماً أو أن تسجل نقاطاً لصالحها في ظل رفضها للخطاب "العقلاني".

وهكذا بتنا مع سياسة الولايات المتحدة، كأننا أمام

عودة محتملة إلى أساليب العصور الوسطى في منهجية يسودها الجمود الاقتصادي والتعصب الديني ويحكمها قانون السلب والنهب.

إننا نرى في سلوك أميركا طريق استخدام القوة رغم إلباسه ثوب أخلاقيات مبسطة قد دفع بها إلى الهوس بإمتلاك مقدرات الرب التي وُضِعت بين يدي الرئيس جورج بوش وأركان سلطته!!.

وفي الواقع لم تعد الآلة العسكرية الأميركية أداة للسياسة الخارجية فقط، بل أصبحت القوة العسكرية مكوناً أساسياً من مكونات الهوية القومية الأميركية.

ولماذا الإستهجان؟؟

ألم يدعو كيسنجر إلى إلغاء وزارة الخارجية لأن أميركا ليست بحاجة إليها.؟!

والأخطر من كل ذلك هو أن القوة الأكبر في العالم تعمد إلى تفسير القوانين الدولية بشكل متناقض مع روح دستورها وقوانينها. والهدف من ذلك هو تغطية أخطائها وجرائمها.

إن المحافظين الجدد يعتقدون بأن القوة العسكرية هي أداة فعالة للغاية في إعادة صياغة العالم بما يعود بالفائدة الكبرى على أميركا..

بإختصار إن أيديولوجية المحافظين الجدد هي

أيديولوجية صقور السياسية التي تترامى في غياهب الظلمة السحيقة.

ويمكن للإنسان أن يتخيل ولو بصعوبة الوضع المأساوي الذي يمكن للولايات المتحدة أن تحدثه في العالم عندما تطلق العنان للقوة التي في حوزتها.

إن من يواظب على التهديد بقوته واستخدامها لإخضاع الغير غالباً ما ينتهي به الأمرعلى قارعة الطريق..

وغني عن الإشارة إلى أن منطقة الشرق الأوسط هي منطقة حيوية استراتيجياً وأن الإتجاهات فيها متقلبة ومتغيرة، وأن السياسات الأميركية حيالها ستكون لها حتماً إرتدادات بعيدة المدى بحيث تعرض المصالح الأميركية للتهديد الأكيد وتمس مكوناتها الأساسية بما في ذلك تلك التي تعتقد أميركا أنها من الثوابت...

وفي اعتقادي أن التطورات في هذه المنطقة ستكون مزعجة جداً ولن تتمكن الولايات المتحدة في خِضَمِّها من التصدي الفعال لبعضها أو لجميعها إذا لم يلجأ قادتها إلى إجراء حوار عقلاني حول المصالح الأميركية في المنطقة والبحث في دور جميع العوامل التي على أساسها يمكن للولايات المتحدة الأميركية أن تعيد صياغة سياستها الخارجية بما في ذلك دور التأثيرات الإسرائيلية في القرارات الأميركية حول مشاكل الشرق الأوسط وبالذات

حول القضية الفلسطينية، وفي مقدمة ذلك الكف عن الإنحياز الأعمى إلى جانب إسرائيل، والتخفيف من تأثير دور اللوبي الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة نفسها...

وبالرغم من أن قيمة إسرائيل كورقة استراتيجية في الخطة الأميركية إبان الحرب قد تراجعت مع إنتهاء هذه الحرب، فإنه لا يزال الاعتقاد سائداً لدى أوساط واسعة في الإدارة الأميركية وبتأثير من نشاطات المجموعات والأفراد اليهود الذين يشكلون اللوبي الصهيوني بأن إسرائيل المستهدفة من العرب هي حاجة أميركية استراتيجية. لذلك تندفع السياسة الأميركية في الشرق الأوسط مجردة من كل بعد إنساني وأخلاقي.

إن اللوبي الإسرائيلي هو الذي يشد بمكانة الولايات المتحدة الأميركية إلى الأسفل وهو الذي يوهن قوتها... وهذا ما جعل مارتن إيريك الذي لعب دوراً رئيسياً في صياغة السياسة الأميركية الشرق أوسطية لحقبة طويلة من الزمن يقول: " إن إيران قد امتلكت الدافع لمواجهتنا في عملية السلام من أجل إلحاق الهزيمة بسياسة الإحتواء والعزل التي نمارسها، وصوّبت أسلحتها وما تمتلكه من أوراق ضد عملية السلام "!!

والذي أزعج الفريق المعتدل في أميركا هو التغيير الشامل في الاستراتيجية الأميركية، حيث إن وجوداً عسكرياً كبيراً في الشرق الأوسط يتعارض بحد ذاته مع

استراتيجية ما قبل 1990 الأميركية التي كانت تقوم على ضبط توازن القوى من مرافئ الشواطئ البعيدة عن الميدان، وفي إبقاء قواتها العسكرية وراء الأفق.

وهكذا تحولت السياسة الأميركية في المنطقة إلى عاصفة قاتمة تتجمع لإلقاء ظلالها السوداء على العالم... وهذا معناه الضعف. وللتعمية على ذلك عملت إدارة بوش الإبن على كبت أي نقاش جدي في قضايا المنطقة ومارست سياسة القطيعة مع من رفض الإنصياع لمشيئتها...

.. ولطالما أبدى الملك عبد الله عاهل السعودية تذمره من السياسة الأميركية وكأنه بذلك يريد القول للولايات المتحدة أن عليها الإصغاء إلى حلفائها بدلاً من فرض القرارات عليهم واتخاذ جانب إسرائيل في كل صغيرة وكبيرة.

وهكذا يستمر اللوبي الصهيوني الإسرائيلي في التمتع بقدراته على تجنيد الدعم المطلق من الولايات المتحدة الأميركية لإسرائيل، وذلك سيبقى إلى أن يضعف نفوذه ولكن متى يتم ذلك؟..

وهكذا تبقى أيضاً سياسة الولايات المتحدة الأميركية في المنطقة كسيحة ومشلولة وتتحكم فيها إعتبارات المصالح الإسرائيلية...

ولا يمكن للإعتبارات الاستراتيجية والأخلاقية التي

تدعيها الإدارة الأميركية أن تبرر المستوى الراهن من الدعم الأميركي لإسرائيل. كما لا يمكن تفسير الأسباب غير المشروطة لهذا الدعم الذي يهدف إلى حماية إسرائيل بأي ثمن!!!...

لقد أدى التعامي الأميركي عن برامج إسرائيل النووية وانتهاكاتها لحقوق الإنسان إلى جعل الولايات المتحدة تبدو في حالة نفاق عندما تنتقد دولاً أخرى لهذه الإعتبارات، وإلى تقويض الجهود الأميركية في تشجيع الإصلاحات السياسية في مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي.

ومن البديهي أن نكون قد أصبحنا أمام الحاجة الملحة والواضحة إلى استراتيجية جديدة تكنس الضرر الذي أوقعته السياسات الأميركية في الشرق الأوسط وأيضاً في العالم بأسره.

القضية العربية
بين سندان الأنظمة والمطرقة الأميركية

هل يكفي أن يتذكر الجميع مغزى ومعاني القيم الإنسانية كي ينتصر الحق على الباطل، وينتصر خيار السلام على إرادة البطش في مواجهة سياسة أميركية حمقاء تعرّض جميع البشر لخطر الفناء...؟؟

إن الحقيقة الأساسية التي ينبغي علينا أن ندركها بداية، هي أن الحضارات كيانات ثقافية قبل أن تكون كيانات سياسية، وهذا ما يسهل تلاقيها وتفاعلها عبر الحوار. وفي حين إفترضنا أنها كيانات سياسية فقط، عندها ستصبح حتماً كيانات محكومة بالمواجهة والتصادم، بغض النظر عن شكلهما وأسلوبهما.

وما يدعونا إلى الدهشة والتساؤل هو كيف أن العرب كل العرب يتناغمون مع سياسة واشنطن أو على الأقل يطمحون إلى ذلك من دون تحفظ، في الوقت الذي تنظر فيه الولايات المتحدة إلى كل العرب نظرة الإستعلاء والكراهية؟. العرب يتهافتون على كسب رضا أميركا

مهرولين إليها، ينادون بعزتها صاغرين، وهي تمعن في إنتهاك حرماتهم وحقوقهم دون أي وازع!!!

إن الذين يحكمون الولايات المتحدة هم المحافظون الجدد أو "المسيحيون الصهيونيون".

لقد تمكن المحافظون الجدد عبر ما يمتلكونه من منافذ إعلامية من تقديم نظرياتهم وتفسيراتهم التوراتية بشكل واسع إلى مختلف مكونات الرأي العام الأميركي، وحمّلوا هذه النظريات الأبعاد السياسية التي يريدون تحقيقها.

هكذا ساروا في نهج التطرف والتعصب... فاعتمدوا سياسة العنف في سرقة الآخرين وفي دعم الأنظمة المتسلطة. وارتكبوا كل تلك الآثام، تحت شعار الإنتصار لحقوق الإنسان!

وهكذا جرّت سياسة المتعصبين الأميركيين المياه إلى طواحين الأصوليين في البلدان الأخرى...وهكذا بنوا أمجادهم فوق ركام الآخرين... فأشعلوا حروب الأغنياء وقدموا دماء الفقراء وقوداً لها.

من هذه الخلفية ارتفعت وتيرة الإحساس بالإنتقام لدى الشعوب المستهدفة، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يولِّد الظلم والقمع منطق المواجهة ثم المقاومة...

فبمواجهة الحملة غير المسبوقة في ضراوتها لقوى الشر الآتية من خلف البحار، هبت مجموعات القوى

المستهَدفة للدفاع عن نفسها، فتوحدت مع أهدافها حتى الموت والإستشهاد.

وبذلك لم يُترك الخيار لأُناس باتوا يرون بأن الموت خير لهم من الحياة، وأن الإستشهاد هو طريق النجاة من مجتمع عالمي ظالم...

إن استهدافات الولايات المتحدة قد اتجهت إلى بلدان لا تستطيع الدفاع عن نفسها، واختارت أن تقاتل جيوشاً ضعيفة، فكان العرب من أكثر المستهدفين...

الولايات المتحدة تتجنب الصين واليابان وأوروبا لِما يمثلونه من قدرات صناعية كما تتجنب روسيا لما لديها من قدرات نووية، فلجأت إلى ممارسة سلطاتها على الضعفاء وما أطلقت عليه زوراً " محور الشر" ومن ضمنه قلب العالم العربي.

ولكن ماذا عن العرب؟...

إنهم يزحفون إلى واشنطن بامكاناتهم، بنفطهم بثقافتهم، بأسواقهم الإستهلاكية للبضائع الأميركية، ويدعون الولايات المتحدة للصفح عنهم، وعن جرائم لم يقترفوها...

وما يدعو إلى السخط هو أن الأنظمة العربية قد تكفلت مسبقاً وقبل أن تنطق واشنطن ببنت شفةْ بالتخلي لها عن كل مقدرات العرب.

ثم تطوعت وتخلت عن عزتها وكبريائها... ثم

أعلنت إنها راغبة في مجاراة الحضارة الأميركية وثقاقة رعاة البقر...

راح العرب يتسابقون في من هو أقرب أكثر إلى واشنطن....وفي الوقت نفسه كلهم يغسلون إيديهم من الدماء العربية البريئة التي تسفك كل يوم إما بيد الأميركيين أو بالسلاح الأميركي على يد الإسرائيليين...

وفقد العرب الذاكرة وراحوا يكيلون المدائح للمنهجية الأميركية دون أن يعلموا إنهم ينساقون في الطريق التي كان حذر منها المهاتما غاندي: "إذا ما رجحت كفة المخابرات الأميركية تصبح حريتنا مهددة... وكلما طغت هوليوود تصبح ثقافتنا شبه مدمرة..."

وهكذا تخلينا عن حقوقنا وهدرنا واجباتنا تجاه شعوبنا وضحينا بها لقاء حماية الأميركي لإمتيازاتنا الشخصية ولنفوذنا وديمومة أنظمتنا!؟

وفاتنا أنه من خاف من الآخر تسلط عليه... وأن من إستسلم لعدو منحه سلطاناً عليه...

ولماذا كل هذا الإسترخاء العربي؟ كل هذا الضعف؟ وهذا الخنوع؟ وهذا الإستسلام بدون مقابل؟...

إن الواقع العربي المعاش يدعونا إلى الإعتقاد بأن ما أسموه بالنهضة العربية لم يكن نهضة بما تعنيه الكلمة... فنحن لا نزال غارقين في عصر الإنحطاط. وإن ما أُطلق عليه نهضة لم يكن سوى ردة فعل على صدمة تاريخية لها

جذورها الذاتية الخاصة ولا علاقة لها بمنطق التطور والتقدم، وهي أقرب إلى الصدمة الخارجية منها إلى العوامل الداخلية...

هل من الجائز أن تكون صادرات الدول العربية مجتمعة بإستثناء ما له علاقة بالنفط لا تتجاوز صادرات أصغر دولة أوروبية لا يمثل عدد سكانها أكثر من2% من عدد سكان العالم العربي؟...

إن ما نراه في واقع الأمور هو أننا نندفع إلى هذا الإتجاه أحياناً وإلى إتجاه آخر في أحيانٍ أخرى ولكن عقولنا ومشاعرنا دائماً تكون مشدودة إلى واشنطن. ونفعل كل ذلك دون أن نسعى إلى تصحيح مسار سياساتنا، أو أن نهتم بواقعنا الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي...

وكأنه فاتنا، بأن من يقف في وسط الطريق سيُدهس من الجانبين... كما فاتنا إنه إذا كانت الحكومات آثرت الإنسياق وراء مصالحها الضيقة فإن الرأي العام سينهض يوماً للدفاع عن حقوقه في مواجهة قوى الداخل والخارج...

إن حكامنا للأسف قد فقدوا الذاكرة فأضاعوا الماضي وفقدوا الحاضر ولا أمل معهم في المستقبل، حيث لا زالت إعتباراتهم الشخصية تحكمنا وتحاكمنا...

إن بإمكان العرب الخروج من حالة المهانة والإذلال التي وصلوا إلى قعرها ولا زالوا يحفرون فيه، وذلك فقط

عندما يفهمون قدرهم ومكانتهم في هذا العالم، ويستوعبون طبيعة عدوهم ويتعاملون مع المستجدات من منطلق العقل وليس من موقع ردة الفعل والمصالح الضيقة. . . والطريق إلى ذلك تنبع من ممارسة الديموقراطية وإطلاق عجلة التنمية والتعليم بشكل واسع. وينبغي علينا أن نفهم أن سياسة الإرتجال لا توجد نظاماً حياً، وإن المصادفة لا تصنع عمقاً للواقع. . .

ولكي نلامس الدرجة الأولى في سلم الحضارة والتقدم علينا أن نعمل جادين، على تذويب الولاءات الضيقة بمختلف أنواعها وأجناسها في ولاء أعمق، هو لأمة ولوطن ولمصلحة شعوبنا. وينبغي علينا أن ندرك أن لا خيار لنا، فإما أن نغرق اليوم في اليمّ أو أن نتعلم السباحة في طوفان المتغييرات. إنه مصيرنا المحتوم. . . هل نعلم ذلك؟ أم إننا سنبقى نتخبط في مغاورالجاهلية متلذذين بالتبعية والإنكسّار؟.

إننا نتلهى بحرص مفتعل لنعرف كل شيء عن لا شيء. . . ولا شيء عن كل شيء. . . وأن ندرك بشكل خاص إنه ليس هناك من وجود لإنسان هو جزيرة قائمة بذاتها. فكل فرد في المجتمع هو جزء من الكل. . . والمهم هو معرفة الواقع وكذلك المهم الوعي بالتاريخ. . . إن البحث في الأصول ليس سياحة في الماضي لكنه مرآة

لمعرفة التعامل مع الحاضر، ويجب أن يكون مؤشراً لإستشراف المستقبل.

نعم لدينا قوة إقتصادية هائلة، ولكن بدون تعبير سياسي عنها... نعم لدينا حشد ديمغرافي هائل ولكن دون المحاولة الجادة للإفادة منه...

هذا ما يدعونا إلى ضرورة إدراك أن ما ينقصنا هو بلوغ الإرادة لبلوغ الحقيقة... وأن ندرك في الوقت ذاته إنه ليس هناك من نظرية واحدة مهما كانت مميزة تستطيع أن توصلك إلى الحقيقة الكاملة...

إن أمننا الحقيقي لن يكون منَّة من الولايات المتحدة. وأن الأمن لا تؤمنه حالة بوليسية متشددة، إنما توفره قبل كل شيء العلاقات الديموقراطية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وإن من يبحث عن الأمن على حساب الحرية كما هو حاصل في العالم العربي يخسر أمنه وحريته حتماً.

أعتقد إنه حان الوقت لبداية تحول حاسم في العقل العربي كي يستوعب كل ما يدور ويجري حوله، وكيف يتعامل مع الأحداث. وأن يخرج من انكفائه وعزلته ويتغلب على المخاوف والأوهام...

على العرب أن يدركوا أن المعركة لم تنته كما يزعم بعضهم، إذ إنها قد بدأت لتوِّها ولا ينبغي عليهم أن

يهزموا أنفسهم مجاناً وأن يستسلموا دون مقاومة ويطلقون صرخات العجز والضعف...

وبكل بساطة هناك حقائق ثابتة يتحسسها خاصة الذين يتابعون تاريخ الحضارات ويهتمون بالدورات المتتالية للأمم والشعوب ويظنون بكثير من الثقة أن هناك حضارات سادت ثم تلاشت وأمبراطوريات سيطرت ثم سقطت... فالصعود والهبوط في مراكز القوى الدولية أمر تاريخي... وأن التوسع والإنكفاء في السياسات الدولية والإقليمية أمور معتادة عَرَفتها الإنسانية عبر مسيرتها الطويلة...

إن الإستحواذ في زمن معين قد يعقبه فشل فانكماش... وفي نهاية المطاف لا يبدأ التاريخ من الهوى ولا يسلم الواقع من مفاجآت.

ولدى العرب بدائل كثيرة... فما دام التعاون مع أميركا خطيراً، لماذا لا نتعامل مع سواها بدون مخاوف ولدينا قدرات إقتصادية تجذب القوى إلى جانبنا إذا ما أحسنا إدارة شؤوننا بفهم وواقعية وشجاعة...

لقد أكدت التجارب أن الولايات المتحدة تتعامل مع العالم العربي بتعالٍ وكراهية وإنعدام ثقة... ولكن للأسف العرب لا يريدون رؤية ذلك وإذا ما رأوه تراودهم المخاوف على أنظمتهم فيعمدون إلى التسلل إلى واشنطن موافقين على كل إشتراطاتها مستسلمين لكل إملاءاتها.

إنهم مع الأسف عرب الإنحطاط والإنكسار.

أميركا والعالم

. . . برسم الولايات المتحدة الأميركية حقائق كثيرة نسوقها لعلها تفيد وتحمل القادة في واشنطن على التروي بدلاً من التهور، وعلى التعقل بدلاً من التدهور..

ولعل الولايات المتحدة التي خدعتها الأقاويل وقدمت نفسها على أنها الأمة الضرورية لقيادة العالم برأس واحد لم تدرك أن الضعف لا يستكين إلى الأبد وأن القوة لا بد أن تزول يوماً.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمبراطورية المهددة بالتفكك والإنهيار لا تعرف ماذا يدور في رؤوس مسؤوليها، فكيف لها أن تدعي معرفة ما يجري حقيقة في العالم.

هل يتساءل الأميركيون لماذا يُقتل أبناؤهم في العراق وفي أفغانستان وفي سواهما في أنحاء العالم؟...

هل يدرك الأميركيون أن المناضلين العراقيين لم يذهبوا إلى الولايات المتحدة لمقاتلة الأميركيين وإنما هؤلاء وبأوامر من قادتهم جاؤوا ليدمروا بلداً ويقتلوا شعباً ويسرقوا ثرواته؟

ألم يلاحظ الأميركيون أو يسمعوا زمجرة الشعوب وهي تستيقظ؟؟. .

ألم يفهموا بعد أن بإمكان قطّاعة علب الكرتون أن تهدم برجاً، ويمكن لقصيدة أن تؤسس لمبادئ عامة ينتفض بموجبها الشعب، ويمكن لحركة اعتراض أن تشكل ثورة؟. . .

فعلى الولايات المتحدة أن تدرك أن قوة الأخلاق أقوى من قوة الدمار، وأن محاولة التوصل إلى تفاهم مع الآخر تقوي الموقف ولا تضعفه. . .

لذا بات الواجب يقضي على القيادة السياسية في واشنطن تغيير وتبديل كامل نظام القيم الذي يحكم تصرفاتها. .

كما بات على الأميركيين أن يستكشفوا مُثلاً جديدة للديموقراطية والعدالة والسلام ترتكز على التجرد والحقيقة والتعاون والعمل الجماعي.

والحقيقة أن سياسة التخوين لا تفيد الولايات المتحدة بشيء، إذ إن المجتمعات الخائفة تختزن قوة أكثر فعالية من قدرة الطائرات والمدافع على التدمير. . .وقد تنفجر طاقاتها بأية لحظة.

إن ما آلت إليه التطورات في العقدين الأخيرين وما ينتظر العالم من تحديات مستقبلية تمس الوجود البشري

من أساسه يستدعي العمل الجاد والمسؤول من أجل إيجاد نظام عالمي جديد.

هذا النظام الذي نطمح إليه لا يمكن أن يبصر النور إلا إذا اقتنع الجميع وخاصة قيادات الدول العظمى وفي مقدمتهم القيادة الأميركية، بأن كل الناس سواسية على وجه هذه البسيطة. فجميع أبناء البشر يشعرون بألم المعدة عندما يجوعون ويجف الريق في فمهم عندما يعطشون ويرتجفون عندما يشعرون بالبرد ولكنهم كلهم يضحكون ويبتسمون عندما تغمرهم السعادة.

ماذا يريد العالم؟...

العالم يخشى على نفسه من أميركا... ومرة أخرى تذكرنا سياسة واشنطن بقول نهرو: "إذا ما نجحت مخططات الإستخبارات الأميركية يهدد ذلك حريات العالم... أما إذا إنتشرت ثقافة هوليوود وتعممت، تصبح كل الثقافات في العالم مهددة...".

العالم يخاف من الهيمنة الأميركية... لأنها مستبدة وظالمة.

العالم، كل العالم، بات يدرك أن السياسة الأميركية لا تعترف بحقوق الآخرين... وهي لا تريد حتى أن تبحث بالمبدأ الذي يقول بأن جميع البشر يملكون حقوقاً متساوية في الحياة...

وإن ما يتردد أحياناً على ألسنة القادة الأميركيين من قيم أو مقولات ومبادئ ليست في الواقع سوى مراهم لغوية لحالة عارضة...

وهكذا تحولت الأمبراطورية الأميركية في تجاربها المتكررة إلى نمر من ورق أو تنين من نار...

لقد بينت الولايات المتحدة في سياساتها المتتالية أنها لا تقيم وزناً للآخرين وهي لم تدرك بعد أن الزمن قد تغير، وأن الأقوياء لم يعد بامكانهم فرض إرادتهم بالقوة على الآخرين كما لم يعد باستطاعتهم تبديل جغرافية الشعوب وتبديل خريطة العالم..

إن أي تبديل في اللعبة العالمية أصبح مكلفاً للغاية، وإن أي تعديل في الأنظمة لا يمكن أن يحصل بمعزل عن إرادة الشعوب وأن يأتي معبراً بأمانة وإخلاص عن أماني الناس وأن يحترم حق الأمم صغيرها وكبيرها في حكم نفسها بنفسها..

النار تنساب إلى مفاصل الأمبراطورية الأميركية والعس بدأ ينهش بمكوناتها..

السياسة: فشلت... الاقتصاد: إنهار... المصداقية انعدمت...

وماذا بعد؟....

من البديهي القول إنه لا يمكن للعدالة أن تولد بدون احترام حقوق الإنسان. ومبادئ حقوق الإنسان ترتكز

بالأساس على ضرورة عدم ترك حرية الفرد تحت رحمة نزوات الحكام.

إن أميركا تعمل على إفراغ الحقيقة من مضمونها وهي تعبث بحرية الأفراد والجماعات من خلال مشاريع مختلفة ومتعددة تعمد من خلالها إلى تفريغ الثقافات الأخرى وتعزيز النزعات العرقية والدينية والمذهبية كاستخدام مشروع الشرق الأوسط الجديد مثلاً ذريعة لتغيير الأنظمة المعارضة لسياسة واشنطن.

وما يقلق أميركا ويغيظها هو أن الكثيرين في العالم ينزعون إلى الأخذ بالنموذج الاجتماعي المتعدد الهويات والثقافات على قاعدة الديموقراطية والحرية الموجود حالياً في أوروبا المعاصرة.

وتتمادى السياسة الأميركية في تجاهلها لحقوق العديد من المجموعات في الدول المختلفة معها، وتنكر على هذه المجموعات حقها في استخدام حقوقها السياسية والثقافية والاجتماعية بأهلياتها الحرة والمستقلة والخلاقة.

وأكبر مثال على ذلك هو ما تلجأ إليه واشنطن في منطقة الشرق الأوسط حيث تعمل على إحداث فراغ ما، ثم تفتش على من يملأ هذا الفراغ. وفي خططها ونيتها ورغبتها هو أن تقوم إسرائيل وحدها وبالتعاون معها في هذا الدور.

.. إن مشكلة العصر الذي نعيش فيه ومن سماته

الأساسية هو طغيان سياسة الإستخبارات على سياسات المجتمعات البشرية وكذلك وبالأخص على سياسات الدول، كبيرها وصغيرها.

والأمر المحير هو أن الأميركيين وبشكل عام الغربيين يعتقدون أن أنظمتهم أقل إستبداداً بهم وأن أنظمتنا أشد إستبداداً بنا...!!

فليسمحوا لنا بأن نصارحهم بالواقع وبالحقيقة وهي أن الأنظمة التي تستبد بنا ليست إلا من موروثاتهم. ويجب ألا يفوتهم أن استبداد أنظمتهم بنا وبالمجتمعات البشرية جمعاء وما نتعرض له من استبداد أنظمتنا إنما مردّه يعود إلى استقواء هذه الأنظمة بالإستبداد المعولم...

إن من أبسط واجبات القيادة، أية قيادة وبالأخص القيادة العالمية، أن تتقن عملية إدارة الصراع وفق متطلبات كل مرحلة وارتباطاً بمصالح الشعوب كلها لا بمصلحة شعب واحد فقط...

والشيء المهم في قراءتنا للأحداث والتطورات هو تجنب الأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة التي نلاحظ أنها شائعة الإستخدام في معالجة قضايانا ولا سيما قضية التطور الاجتماعي والسياسي ودور مختلف القوى فيه.

وإذا ما توقفنا عند السياسة الأميركية التي تدعو بدون كلل إلى مبادئ الحق والعدالة، نرى عقم هذه الدعوة عندما نشهد على غياب العدالة الاجتماعية في الولايات

المتحدة نفسها وأحياناً في الغرب حيث يسود التفاوت الطبقي في المجتمع الأميركي ويتركز رأس المال في أيدي عدد محدود من الناس. وهذه الفئة المحدودة العدد هي التي تقود النظام السياسي في أميركا.

وطالما أن سياسة الكيل بمكيالين هي القاعدة النموذجية للسياسة الأميركية، ستبقى أميركا بعيدة عن إدراك أن جوهر الصراع العربي - الإسرائيلي مثلاً هو أبعد وأعمق من مجرد صراع على مساحة " أرض " أو ترسيم "حدود" فهو صراع بين نقيضين على كل المستويات.

والذي ظهر جلياً في تجارب العقود الماضية هو أن التجربة الأميركية في الديموقراطية لم تكتمل بعد وهي تحتاج إلى عملية تصحيح لتنظيف وتهذيب الجسم الأميركي مما علق به من عيوب، كي يصبح قادراً على لعب دوره النزيه والفعال في صناعة شراكة حقيقة مع كل الآخرين في إدارة العالم.

الولايات المتحدة!..

وتحديات المستقبل

مما لا شك فيه أن عولمة الاقتصاد ستؤدي في المستقبل القريب جداً إلى فجوة إقتصادية متسعة وركود إقتصادي متفاقم..

وفي هذه الحال سيواجه العالم عدم استقرار سياسي.. وأيضاً إغتراباً ثقافياً يزيد من حدة الإضطراب والعنف في صفوف المحرومين والمعدمين.. ومعظم ذلك سيكون موجهاً حتماً ضد الولايات المتحدة...

من هنا نتساءل كيف تتحسب واشنطن لمثل هذه الإحتمالات؟ هل تفكر في شن الحرب كما يحلو لها وبموجب مبدأ الدفاع التحسبي عن النفس ذي الحدود غير المحدودة؟..

.... وإذا كنا نأمل في فهم أوضاع العالم و نحاول تجنب المساوئ أو عدم خلق السلبيات التي تهدد الإستقرار العالمي، فمن المهم من أجل ذلك ألا نسمح للماضي القريب وربما الأبعد قليلاً أن يغرقنا في بحر النسيان..

إلى أين تتجه الولايات المتحدة الأميركية؟ ألا تدرك مخاطر السياسة التي تتبعها في العالم أجمع؟... ألا تعلم أن الويلات والشرور والمآسي التي تسببها للعالم ستعود عليها بأدهى منها؟..

ألا يتناهى إلى مسامعها وأبصارها وعقولها ما يتضمنه ميثاق الأمم المتحدة وهو بمثابة القانون الأعلى للعالم أجمع؟..

إن هذا الميثاق يؤكد على تصميم الدول على حماية الأجيال القادمة من ويلات الحروب التي، في كل مرة، كانت نتائجها دمار ودماء، وهذه الحروب التي أصبحت في زماننا لا تُعد ولا تحصى وتشمل البشرية جمعاء.

ألا يعلم هؤلاء أن مئات المليارات من الدولارات التي تنفق على مثل هذه الحروب كان جزءاً محدوداً منها يكفي لعولمة التنمية ورفع شأن الإنسان في كل أنحاء العالم..؟ حتماً لو حصل هذا فعلاً لكنا نواجه اليوم واقعاً آخر... ولكانت الإنسانية في أفضل أحوالها..والبشرية تعيش في محبة وسلام ووئام، ولما كنا نشهد أسوأ ردات الفعل على أعمال القمع والأضطهاد، ولما كانت الولايات المتحدة تتعجب لماذا يضمر العالم لها كل هذه الكراهية اللامتناهية... ولما كانت تجد نفسها أنها على وشك الوقوع بالعزلة...

عل أميركا أن تدرك أن ما يقوم به بعض العالم

بوجهها هو ليس إلا ردات الفعل المألوفة والمتوقعة على التصرفات الحمقاء الصادرة عنها؟ . . .

ونتوجه بمنطق هادئ. . . لنقول "للأمبراطورية الأميركية"، أن التعريف العملاني للجريمة: هي أنها من صنع يديكِ ونحن لسنا سوى ضحاياها.

وبدلاً من أن تصرف الولايات المتحدة الجهود المادية والمعنوية في مواجهة العالم، كان عليها أن تتعمق أكثر في مفاهيم القيم الإنسانية، ومعنى حرمة الأوطان. ولأنها تفتقر لمثل هذه المشاعر، نراها تقع في المتاهات المظلمة، ويوماً ما ستجد نفسها فجأة تقف على هضبة عالية من الغبار.

ومع أننا ندرك أن تكتسب جهة ما شيئاً من الفهم والدراية بشؤون الإنسان ليست بالمهمة السهلة على الإطلاق. . إلا أنها مهمة واجبة وتكاد تكون أساسية في كل نهج وكل تصرف. .

يعود مرد بواعث الكراهية للولايات المتحدة إلى خطورة العجرفة والغطرسة التي تميز سياسة إدارتها. فالعالم يكره سياستهم. يكره استهتارهم بالقيم الإنسانية. . ويكره بالذات تبريراتهم الفوقية التي لا تستند إلى حجة عادلة أو منطق سليم. . ويكره إستخفافهم بالصدق. . وعدم إكتراثهم بحياة الفرد والجماعة.

بالتأكيد إن شحنة الكراهية التي تتجه إلى أميركا لا

تقصد الشعب الأميركي أبداً إنما هدفها المسؤولين الذين يحكمون هذا الشعب. . العالم يكره تصرفاتهم الجنونية. . يكره سياستهم القائمة على إفقار العالم وإخضاعه بالقوة العسكرية لمشيئتهم وإرادتهم.

وهكذا وبفعل المعايير اللاأخلاقية والإرتكابات الجرمية تضع الإدارة الأميركية مصائر ومستقبل شعوب بأكملها على كف عفريت. وهذا ما يسبب الخضات الكبرى التي تجتاح مختلف أنحاء الدنيا وبالذات منها منطقة الشرق الأوسط. فواشنطن تتطلع إلى تملك وسائل استخراج وتسويق النفط وبالذات النفط العربي لتهيمن من خلال ذلك كلياً على العالم وبشكل خاص على أوروبا وبعض البلدان الآسيوية وبالأخص منها الصين واليابان. . . هذا من جهة، ومن جهة ثانية لتمنع أي تطور إنمائي في العالم العربي. وتلجم أي خطوة يمكن أن تسهم في تطوره وذلك بإيحاء من السياسة الإسرائيلية وخدمة لها. . .

إن السياسة الأميركية قد أضحت مكشوفة للجميع. . لأن الواقعية قلّما تخفي الإنحياز الأيديولوجي. . فالمرء يبحث عبثاً عن دليل على البصيرة الخارقة لدى من يُمارسون التأثير الأكبر على السياسة بصرف النظر عن براعتهم الفائقة في حماية مصالحهم العامة والشخصية.

وكم يندهش العالم تعجباً حين تتحدث الإدارة

الأميركية عن سعيها الدؤوب لنقل الديموقراطية على متن طائراتها الحربية وأرتال دباباتها المجنزرة أو عبر رؤوس صواريخها الذكية وتعمد إلى تعميمها بهذه الطريقة على مختلف المجتمعات؟!

لقد بات العالم ينظر إلى مثل هذه الدعوات الرسالية على أنها مجرد سحابة دخان تريد منها الإدارة الأميركية التغطية على أهدافها الحقيقية وأن تلك الدعوات لا تعدو كونها ترهات وشعارات خادعة ونفاق ما بعده نفاق يجترّونه خدمة لمصالحهم..

إن الولايات المتحدة الأميركية وبغض النظر عن جبروت قوتها وتفوقها العسكري تفتقر وبشكل كبير إلى الفطنة التاريخية التي تربط بين الشعوب.

إن نشر الديموقراطية بالنسبة لواشنطن يأتي في مرتبة متأخرة جداً بالمقارنة مع الحاجة التي تضمرها لمعاقبة من لا يخضعون لإرادتها.. وكم يحلو لهم في واشنطن أن يتحدثوا عن الديموقراطية وعن القيم الإنسانية.. وما أبعدهم عن كل هذه المقولات عملياً...

ألم يدركوا "سخف" تبريراتهم عندما كانوا يقولون : خير للمرء أن يخطئ وهو على جانب كبير من القوة، من أن يخطئ وهو على جانب كبير من الضعف. إنها مقولة لا تدلل إلا على مدى إنحطاط المنهجية الأميركية.

وبما أنهم يدَّعون الإلتصاق بالقيم الدينية لا بل يعتبرون أنفسهم ممثلين للربّ على الأرض من خلال التواصل التلفوني الألهي مع الرئيس جورج بوش الإبن، يفترض بهم أن يكونوا قد سمعوا على الأقل ما تعنيه عبارة تضليل العالم وما تعنيه كلمة منافق في الأناجيل.. كما يفترض بهم أن يستفتوا الضمائر الحية في الجرائم الكبرى التي يقترفونها بحق العالم.. بحق الأطفال... وبحق النساء، وبحق الشيوخ.

إننا نجد لا بل نتابع خيط تواصل متيناً مفاده أن الديموقراطية مقبولة من إدارة واشنطن إذا كانت فقط متوافقة مع المصالح الاستراتجية والاقتصادية للولايات المتحدة.. وهذه المقولة تنطبق على الداخل الأميركي كما على خارجه... الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن إدعاءات الإدارة الأميركية عن حملها لرسالة الديموقراطية إلى العالم المعذب ليس إلا إدعاءات فارغة. وكثيراً ما نرى كيف يجري تبليغ الرسالة بوحشية لا توصف...

وفات الولايات المتحدة أن طريق التغيير للوصول إلى النظام الديموقراطي وسلوك منهجية النهوض بالعالم، إنما يبدأ بالنظر والتفكير بحقائق الكون والإنسان والحياة، أي بالوعي الفكري والتمسك بالحقائق والحذر من المغالطات التي تبعد عن الحقائق وتوقع في الضلال.

كل ما تقدم يجعلنا نرى بوضوح: كم هو متخلف غرب الولايات المتحدة مقارنة مع غرب ديكارت. إن الولايات المتحدة تنعم بمساحات جغرافية شاسعة مقابل أفاق تاريخية محدودة... كما أنها لا تشعر بقيمة وأهمية الأوطان لإنها لم تشكل على مر التاريخ وطناً بل إنها أقامت موطناً.

بعد اهتزاز خيار القطب الواحد
العالم إلى أين؟

كثيرون يتمنون العودة إلى نظام عالمي متعدد الأقطاب. . . وكثيرون يهتمون برسم خطوط جديدة للعلاقة بين الدولة والمجتمع بعد ما أصاب التجربة الأميركية من اهتزازات كانت الأزمة المالية التي ضربت العالم في النصف الثاني من العام 2008 إحدى أكبر مظاهرها.

ومهما تعنتت الإدارة الأميركية واستبدت، فإن التغيير في نظام العلاقات الدولية حاصل لا محالة. إذ قد نشهد في المستقبل غير البعيد إنبثاق ثنائية جديدة أو ربما ثنائيات تتقابل أو تتحالف فيما بينها، والولايات المتحدة ستكون واحدة منها بعدما بدأت تفقد دورها كقطب أوحد يتحلق حوله العالم.

قد يكون تنافس اليورو مع الدولار أحد مظاهر أو تجليات الإنتقال إلى عالم متعدد الأقطاب.

وميادين الصراع في عالم يتجه إلى التعددية القطبية لن تقتصر على التنافس أو التعاون الاقتصادي والمالي بل قد تتعداها إلى المفاهيم التي تتعلق بالمستجدات التاريخية

والمقولات القومية. . . والثقافة ما بعد المرحلة القومية، ومعايير المفاهيم الحديثة للمسألة القومية. . .

وما يقلق أميركا هو أن الصين تَصْعَد بوتيرة سريعة وأن روسيا تعيد تشكيل ذاتها وقدراتها والهند تندفع لتثبت وجودها في أكثر من بقعة في العالم هذا فضلاً عن التمايز الذي بدأ يسير به الإتحاد الأوروبي للإحتماء من تداعيات الأزمات الأميركية على اقتصاد بلدانه.

وأميركا قلقة أيضاً من أن تجد نفسها بعد السقوط المريع لاقتصادها مدفوعة تدريجياً لكي تصبح خارج اللعبة. . .

لقد وقع الأميركيون في بحر الأزمات، لأنهم رفضوا منطق الحوار وسلكوا دورب الإملاء والفرض على الآخر.

ولماذا؟ لأن الأميركيين عمدوا لا بل دخلوا في التأسيس لعلاقات التبعية من خارج نظرية ملء الفراغ العسكري.

لقد أصاب قيادة الرئيس بوش الإبن الغرور فرفضت أن تكون الولايات المتحدة لاعباً أساسياً ومقرراً على الساحة الدولية وسارت بتوجيه من إستخباراتها في لعبة القائد الأوحد للعالم ووضعت نصب أعينها إخضاع أوروبا وشمال وجنوب شرق أسيا والخليج لمشيئتها.

وجرى استهداف هذه المناطق كونها تحتوي على

مراكز قوة وعلى مصادر ثروات طبيعية استراتيجية ومن خلفية أن من يسيطر عليها يكون قد سيطر على العالم.

أسقطت القيادة الأميركية نظرية فرض التوازن من وراء البحار على الرغم من الدراسات الاستراتيجية التي نصحت بمثل هذا التوازن الذي يؤدي حتماً إلى تمكين أميركا في معركتها ضد الإرهاب.

إن إحدى الأمثولات الأساسية للقرن العشرين هي: "أن القومية وغير ذلك من أشكال الهوية المحلية تحتفظ بقدرة سياسية قوية في مجابهة التحديات". وتقول تلك الدراسات التي أسقطتها قيادة بوش من حسابها بأنه من شأن استراتيجية الموازنة من وراء البحار أن تقلب تقريباً كل سياسات أميركا الإقليمية الراهنة رأساً على عقب. فبدلاً من مواصلة جهد غير مثمر لتحويل العراق إلى ديموقراطية متعددة الإثنيات والطوائف، كان المفروض حسب الدراسة أن تنسحب الولايات المتحدة بأسرع ما يمكن من العراق وأن تركز على إحتواء العواقب الإقليمية لقرارها المتهور بالغزو...

وكم هي بليغة الحكمة القائلة: راقب ما يقوم به الأميركيون وأفعل عكسه وبهذه الطريقة كن واثقاً من إنك على صواب.

العصر الجديد للديموقراطية

إن العصر الجديد الذي يلي العصر الذي مضى لم يزل في طور المخاض، حتى أن مرتكزاته الأساسية لم تتوضح بعد وكذلك ما زال يتلمس السمات التي ينطلق منها.

ولكن الظاهر أن الدخول في العصر الجديد لا يمكن أن يتم بشكل عفوي وتلقائي حيث نلاحظ مظاهر تجاذبات وعوامل مواجهات.

إن الموضوعة التي يجري الآن تعميمها باعتبار العصر الجديد هو عصر الديموقراطية، وحقوق الإنسان والعدالة، إنما هي أقرب إلى مقولة يرددها أصحاب المصالح، وهي غير ثابتة وغير واقعية. كذلك الحديث عن أن العصر الجديد هو عصر الوحدة ليس سوى تخيّل محض لأن وحدة العالم تفترض مؤسسات سليمة عادلة، كما تفترض إنتفاء القوة والإبتعاد عن إخضاع الضعفاء لمنطق الأقوياء. فكيف تقوم وحدة والقطب الأكبر وربما الأوحد يستسهل عرض عضلاته بمبرر وبدون مبرر، وبمنطق وبدون منطق، بعيداً عن مقولات العدالة وحقوق الآخرين وحرية الإنسان.

والوحدة لا تعني السعي لإلغاء ثقافة وفرض أخرى. إذ إن المنطق السليم هو أن التمسك بالهويات القومية، وخاصة الهويات الثقافية، ومن بينها المعتقدات الدينية هو المدخل الحقيقي للدخول في تلك الوحدة بدلاً من أن تكون كما يعمل البعض منطلقاً لصراع مستعر بين مختلف هذه الهويات بهدف أن يؤدي هذا الصراع إلى منتصر وإلى مهزوم. وهذا معناه إلغاء ما ينتمي إليه الآخر من هوية أو معتقد أو قومية أو أمور أخرى.

القول بأن العولمة هي المظهر العملي لهذه الوحدة المنشودة ليس إلّا تضليلاً وتشويهاً للوقائع حيث إن القضية الأساسية التي يناضل من أجلها البشر، تقوم بكل مرتكزاتها على إزالة الإستبداد وإلغاء السدود التي تمنع الشعوب من ممارسة حقها في التقدم والحرية وتحرمها من مستلزمات تصديها لعوامل القهر والتفرقة داخل مجتمعاتها.

يتحدثون عن عصر جديد.. ثم يصادرون قدرات الضعفاء. يقولون إنه عصر جديد وليس كالذي مضى ولكنهم يقدمون أبشع النماذج. حقوق الإنسان هنا لها منطق يختلف عن منطق حقوق الإنسان هناك، مبادئ العدل ليست مطلقة، الحرية لهم وحدهم وهي حرية تأمين مصالحهم على حساب الآخرين.

وفي الواقع نرى أن التاريخ لا يتجزأ فهو واقع وحقيقة ولا يقبل أن تعالج الحقبات منفصلة ومتباعدة عن

بعضها البعض. كما أن منطق الأمور يرفض سياسة التميز والتفسير المتناقض بالنسبة للقيم المطلقة. فالذي يحرم الآخر من حقوقه البديهية لا يكون جديراً بالمحافظة والرقابة على مثل تلك الحقوق. والذي لا يصون حرية الآخرين، لا يكون من فئة أنصار الحرية. والذي لا يؤمن قولاً وممارسة بالعدل المطلق لا يتصف أبداً بسمات الإئتمان على عدالة الناس وحقوق البشر.

إن أخذ العبر من التاريخ مهم جداً ولكن عيش عوامل الحاضر وتناقضاته بواقعية هو دليلنا إلى المستقبل الواعد. لا يمكن للشعب أن يبقى منتظراً الغد لأن الغد فراغ مشرّع على كل الاحتمالات. لذلك يقيم الشعب آلهته من أوهام الماضي ومن حاجات الحاضر أما الغد فنحن نقدمه وفق ما نراه ضرورياً لصيانة امتيازاتنا في الحاضر.

فالعصر الجديد يستحيل أن يكون منفصلاً عن الماضي حيث إنه من البديهي أن كل جديد يولد من الماضي وأنه يحمل معه منذ ظهوره أشياء كثيرة وأساسية من الماضي، قد تكون تراكمات إيجابية وقد تكون محصلات إنتكاسية ولكن من المهم وقبل كل شيء أن يبادر العصر الجديد إلى تعزيز مفاهيم العمل السليم وأن يستمر به، يعززه ويرتكز على مسلّماته، كما يفترض أن يسعى لإزالة أو لتخفيف السلبيات بكل وعي وإدراك.

وعندها يتحول العصر الجديد بالفعل إلى عصر منتج

وفاعل، لأنه غني عن الإشارة إلى أن الإبداعات التي يصنعها أي شعب ما هي إلّا عوامل عطاء إيجابية لكل شعوب الأرض، وكذلك فإن التجارب الفاشلة أيضاً هي محصلات سلبية تصيب جميع شعوب العالم بدون استثناء.

والثابت أن الماضي هو الأساس والمستقبل يجب أن يشاكله، وإذا ابتعد عنه كلياً يصبح منحرفاً وجاهلاً وضالاً. والحقيقة الثابتة كذلك، أن أي تقدم لا يعتبر تقدماً حقيقياً إلّا إذا اقترن بتحقيق المساواة بين شعوب العالم وبتحقيق العدالة بين كافة الأمم وتحصين المبادئ الإنسانية دون تجزئة أو حذف من هنا بهدف إضافة إلى هناك.

وحتى لا يبقى البحث الجاري اليوم غامضاً أو حتى معقّداً.. لماذا لا نتحدث وبشكل مسهب عما يتردد من أننا لا نفهم معنى الديموقراطية، ولا نستطيع ممارستها، أو مماشاتها أو الإنخراط في آلياتها، واقعاً وقولاً؟ّ!

مما لا شك فيه أننا أخطأنا عندما اعتبرنا أن الأساس بالنسبة إلينا هو تأمين السلطة وليس إقامة الدولة. وأخطأنا عندما اعتبرنا، أن الأساس هو إنشاء حكم على مقاس الحكّام وليس مؤسسات على مقاس الوطن.

ومن هنا بدأنا ندّعي تحقيق الديموقراطية باللفظ والقول والشعار، نرفع لافتة الديموقراطية ونقهر من يدعو

إليها، نقول بها ونسعى لإلغائها، حتى تحولنا إلى جاهلية في المفاهيم.

لنكن واقعيين.. الديموقراطية ليست عدوة للسلطة كما أنها ليست نقيضاً لأصحاب الحكم مهما كانت نزواتهم متردية، ونفسياتهم منهكة وإراداتهم مرتبكة.

الديموقراطية هي شكل واقعي تمارس فيه العلاقات بين أطراف السلطة، وبالذات داخل مؤسسات الدولة، وأيضاً هي حالة تمارس فيها العلاقات بين المجتمع وبين كافة أجهزة الدولة المدنية وغير المدنية، ومن الطبيعي أن ترافقها صيغ ونماذج حيّة بما في ذلك الدساتير والقوانين التي تنسق سلامة العلاقات بين مختلف هذه الدوائر وكذلك تصون آلية صنع القرار من أعلى الهرم إلى أسفله. وبذلك تؤمن الديموقراطية تناغماً متكاملاً بحيث يفهم كل فريق دقائق مهامه.

بهذا المفهوم نجد مع الأسف الشديد أن الديموقراطية لم يؤذن لها بعد بولوج بلداننا بالمعنى الصحيح، كما أنها لا تزال لافتة مرفوعة على حدود كل بلد.. لا تتعدى الإشارة إليها مع الحرص على عدم دخولها في وعي الناس وأيضاً في الثقافة العامة وبالذات في الممارسة السياسية.

وإذا سعى البعض إلى إنزال هذه اللافتة، ولو إلى

حين، إلى أرض الواقع فإنه لن يتلمس من دعوتها إلا أجزاء يسيرة إنقاذاً لماء الوجه أو لإجهاض حركات مطلبية بهذا الخصوص.

وفات هؤلاء أن الديموقراطية هي حالة شعورية، وواقع علمي يتعذر تجزئته لا في الأساس ولا في المبدأ، ولا يستطيع أحد أن يأخذ منها ما يشاء ويرمي الباقي لعدم الحاجة إليه. إنها بالفعل ليست وصفة قائمة بذاتها، إنها تفاعل مع كل واقع، ونموذج للتعامل الخاص مع كل مشكلة بما يضمن سلامة النقاش وأرجحية الحلول.

وعندما نرى أن مصلحتنا ليست في النظام أو المبدأ الديموقراطي، نميل إلى تحميل العدو مسؤولية تعثر هذا النظام أو زعزعة تلك السلطة دون أن نقرأ بأن كل مصائبنا أو بعضها على الأقل من صنع أيدينا ومن حرصنا على الإستئثار بالحكم والتفرد بالسلطة.

إن رجال الحكم عندنا فشلوا وأصبحنا نعيش معهم حالة ضياع كاملة لأنهم لم يتمكنوا، أو رفضوا تكييف الأنظمة والمؤسسات بما يتلاءم مع مصلحة الشعب وبما يتماشى مع تطور مؤسسات الدولة، وجاءوا بنظام هو نسخة عن عقدهم المتفاقمة وعملوا لجعل المواطنين صورة عنها.

وبسبب تعنّتهم وانحرافاتهم، اعتبر هؤلاء الوطن جزءاً من أملاكهم الخاصة. خطأهم أنهم قدّموا ذاتهم على

المصلحة الكبرى، وفاتهم أن حق الدولة يتقدم على حق السلطة ولو كانت سلطتهم. وأن حق الإنسان يتقدم على حق الدولة، وأن الوطن هو الجامع والذي تتلاقى جميع الجهود في سبيل منعته وعزّته، فالديموقراطية أولاً وأخيراً هي ألّا ينفرد صاحب القرار وأن يناقش بالعمق في المسببات والنتائج، وأن يخضع للرأي الصائب حيث هناك دائماً صراع بين إرادة تعرف طريقها وإرادة لا تعرف وقع أقدامها، كما أن هناك فارقاً كبيراً بين الرغبة الموجودة وبين القدرة المتاحة.

يجب علينا أن نتلاقى، أن نتفاهم على سلوك طريق المعرفة والحق لا على سلوك طريق الجهل المشترك والسياسات الباطلة. إن فقدان الديموقراطية هو الذي يجعل الوطن مهتزاً ومزعزع الأركان لأن كل وطن يصبح أقوى إذا أتيح للديموقراطية أن تحكم. يجب أن ينتصر الأمل على الخوف. الأمل بحكم الشعب على الخوف من الشعب، الأمل بأن تسود الديموقراطية على الخوف من فقدانها.

إن الأزمة ليست في الطبيعة بقدر ما هي في من يتحكم بالطبيعة وإن المجتمعات موجودة على مرّ الأزمان وليس هناك مجتمع متخلف ومجتمع متقدم أو ليس هناك إنسان متخلف وآخر متقدم، فالإنسان يبقى كياناً واحداً في

كل مكان بغض النظرعن مؤشرات التقدم والتخلف في نظريات هي أقرب إلى الأيديولوجيات. ولكن الأساس هو الإطار الذي يوجد فيه المجتمع. وكذلك السلوك الذي يتحكم بالإنسان أو يفرض عليه.

وبكلمة موجزة: الصيغة التي تتحكم بالنظام العام هي أساس التقدم أو التخلف. قد تكون صيغة نظام ديموقراطي بكل معنى الكلمة، وقد تكون صيغة حكم الفرد، أو صيغة اللاصيغة ألخ. وعلى كل حال وبكل بساطة فإن الضرورة هي التي تملي علينا شرط وكيفية خروجنا من الأمر الواقع الذي نعيشه وليس الإكتفاء بالتبصر أو في توليد الأفكار.

هذه الضرورة تقتضي، فيما تقتضيه، الأخذ بالنظام الديموقراطي لأنه الأكثر تمثيلاً لرغبات الشعب والأكثر صدقية في ممارسة الإنسان لكافة واجباته وفي أبعاد مختلف مؤسسات الدولة وكذلك المجتمع المدني.

ولماذا نتجاهل الحقائق ونقفز فوق الوقائع؟ كل حدث كبير بحاجة إلى قائد مميز، إذ إن معظم ديموقراطيات العالم الحديث ولدت من رحم نهضة قادها رجال تاريخيون.

الصراع هو بين مفهومين متناقضين. مفهوم السلطة المعلب وله ركائزه ومتطلباته، ومفهوم الدولة والمؤسسات، ولذلك مقومات ودوافع أيضاً.

السلطة التي تشعر بأنها قوية وقادرة بما فيه الكفاية ترفض منطق الدولة، وبالتالي تقاتل المشروع الديموقراطي لأن في السلطة من يشد أصحابها إلى سلوك درب الإستبداد والإبتعاد الكلي حتى عن موقع الإعتدال.

كما أن السلطة دائماً تعيش الهواجس والظنون ويتلبسها على الدوام الخوف من المعارضة وما تمثله هذه المعارضة مهما كان متواضعاً. وترى السلطة أن المعارضة تريد لها السقوط مما يجعلها في وضعية توتر وإستنفار، وفي الحالتين تجنح السلطة إلى إستخدام القوة الكافية لتبعد عنها مصير السقوط فتأخذ المجابهات مداها الأقصى.. وعندها يصبح الغائب الأول الفكر الديموقراطي وكذلك كل ما يمتّ إلى المبادئ الديموقراطية بصلة. ويغيب كذلك عن ساحة الصراع الفكر الواعي ومصلحة الوطن ويصبح الصراع في بعده صراع بقاء أو موت.

فأين الديموقراطية من هذا الواقع في معظم أنظمتنا التي تحكمها أفكار سلطوية لا تعي ماهية الحكم ولا تدرك أهمية الصراع أو التنافس في ظل نظام ديموقراطي، حيث إن حتى الخاسر يبقى ضمن حيثيات مقبولة، ويعمل لجولة أخرى قد يعدل فيها النتيجة حسب ما يطرحه أو يمارسه أو يقدمه من برامج ومبادئ.

وحتى نقدم الموقف العلمي، فإننا لا نعتبر أن الديموقراطية، بما هي نظام، تحل كل المشاكل أو أنها وصفة معلّبة من شأنها أن تقضي على كل أمراض المجتمع وأن تداوي أوجاع الأوضاع السياسية والعامة. لا ليس هذا رأينا. إذ ربما أثارت الديموقراطية مشاكل أكثر مما تقدمه من حلول. فالديموقراطية ليست نظاماً طبيعياً بل هي صناعة بشرية في إطار وتاريخ محددين، ومن هنا فإن الإنتقال إليها قد لا يكون المخرج الوحيد الذي لا بد منه بل بالعكس، فإن الضرورة تقتضي تفحص ظروف الإنتقال وأن يكون على رأس السلطة من هم يتمتعون بثقافة متقدمة إن كان على صعيد الفهم المعمق للنظام الديموقراطي أو على الأخص، تفهم المزاج الذي يعم البلاد في مرحلة معينة.

وإننا عندما نقول بالنظام الديموقراطي وندافع عنه، فلأننا مؤمنون بكونه وثيق الارتباط بالمبادئ الأساسية للحرية وإحترام حقوق الإنسان وإشراك الشعب في التوجهات الكبرى في البلاد. وإننا نرى في ذلك الأمل بالإبتعاد عن حكم الفرد أو مساوئ البطانة الجاهلة. ونحن نرى أنه يجب أن تكتسب الديموقراطية معنى حقيقياً إذ لا بد من إمكانية ممارستها في كل المواقع التي تكون فيها السلطة إن على الصعيد العام أو على صعيد العلاقات بين

مختلف مؤسسات الدولة أو أجهزة السلطة، وبالتالي أيضاً على صعيد العلاقات بين الداخل الخارج.

وأن الديموقراطية ليست فقط شكلاً من أشكال الحكم داخل دولة ما أو في العلاقات بين الدول بل يجب أن تكون نمطاً لممارسة السلطة أياً تكن هذه السلطة.

والديموقراطية لا تقتصر على النواحي السياسية فحسب، بل هي نظام متكامل تشمل أيضاً النواحي الاجتماعية والإنمائية والاقتصادية. من هنا إذا كنا نهدف إلى الأخذ بالديموقراطية يجب أن لا يقتصر هذا على إرادة المشتغلين بالسياسة والفاعلين في الاقتصاد فقط وإنما علينا رصد تطلعات الناشطين في الحياة الاجتماعية والثقافية أيضاً.

فكما أن الحرية هي حق أساسي من حقوق الإنسان كذلك الأمان الاجتماعي هو حق أساسي من حقوق الإنسان. وكما أن السياسة لا تحدث في فراغ ولا تبنى على أسس مجردة كذلك التنمية تحدث ضمن مضمون محدد للمجتمع واستجابة لظروف معينة، وهي تؤثر على جميع جوانب المجتمع كما تسهم في التطور السياسي وفي التطور الاجتماعي وكذلك في التنمية بشكل عام.

إن الديموقراطية تقوم على حكم الجماعة ضمن منطق المؤسسات وهي تعتبر أن البشر هم الرصيد الأساسي لأي بلد، ورفاهيتهم هي التي تحدد التطور الاجتماعي والاقتصادي في البلد. حيث إنه من طاقات البشر ومن

مبادراتهم تستمد عوامل التطور العام قوة إندفاعها وخصائصها.

وبالنسبة للتنمية الاجتماعية بالذات، فإن للمشاركة الشعبية على جميع مستويات المجتمع، أهمية حيوية في المساعدة على خلق الظروف الملائمة لتحقيق التطور الاجتماعي ودفع موضوع التنمية بكل أبعادها إلى أن يكون في طليعة الاهتمامات العامة والخاصة.

إن الديموقراطية والمجتمع المدني الفعال أمران حيويان للغاية للمساعدة على ضمان أن تظل الحكومات مدركة للآثار الاجتماعية الناجمة عن سياساتها.

وبكل بساطة، إذا أريد للبشر أن يستغلوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم فلا بد لهم بأن يشاركوا بفاعلية في صوغ أهدافهم. وأن يكونوا مقتنعين بالوسائل التي يستخدمونها من أجل تحقيق هذه الأهداف.

إن هناك إرتباطاً أساسياً وجدلياً بين الديموقراطية وبين الحالة الاجتماعية. فهما مرتبطان باعتبار أن الديموقراطية تشكل الأساس لإحتواء المصالح المتناقضة وأحياناً المتصارعة بطريقة تجعل نشوب صراع عنيف أقل ما يمكن. وهما مرتبطان لأن الديموقراطية وثيقة الصلة بمسألة أسلوب الحكم الذي يؤثر بدوره على الظروف الاجتماعية كافة. وهما مرتبطان لأن الديموقراطية حق أساسي من حقوق الإنسان، والنهوض بهذا الحق بحد ذاته

يعتبر إجراءً هاماً من إجراءات الأوضاع الاجتماعية. وهما مرتبطان لأن المشاركة الشعبية في عمليات صنع القرار التي تؤثر على حياة الأفراد هي مبدأ أساسي من المبادئ التي يقوم عليها النهوض الاجتماعي.

في غياب الديموقراطية كمنبر للتنافس وكأداة للتغيير، ستظل الأوضاع الاجتماعية هشة وتبقى دوماً معرضة للخطر.

ينبغي النظر إلى الديموقراطية بوصفها عملية تنمو وتزدهر ويتعين الحفاظ عليها مهما كانت الظروف وتبدلت الأحوال. إن إرساء الديموقراطية عملية تؤدي إلى قيام مجتمع أكثر إنفتاحاً ويفسح مجالاً أوسع للمشاركة في تسيير الشؤون ويكون أقل اتساماً بالطابع السلطوي. فهي أي الديموقراطية نظام للحكم يجسد في مجموعة متنوعة من المؤسسات والآليات مبدأ السلطة السياسية التي تستند إلى إرادة الشعب.

وإن ممارسة الديموقراطية تعتبر بشكل متزايد عنصراً أساسياً بالنسبة إلى تحقيق التقدم في طائفة واسعة من إهتمامات البشر ولا سيما منها حماية حقوق الإنسان.

وعلى الرغم من أن الفوارق في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية لمجتمعات العالم تعني استمرار الفوارق بين الديموقراطية كما يراها مجتمع معين

والديموقراطية كما يراها مجتمع آخر، فإن هناك إدراكاً متزايداً بأن الديموقراطية تشكل إستجابة وعاملاً أساسياً لحماية حقوق الإنسان.

وفي كل مجتمع نجد أن استمرار الديموقراطية نفسها هو عملية مستمرة من التجدد والتطور في المجال السياسي.

وهناك حقيقة لا يمكن إنكارها هي أنه لا يوجد نموذج واحد للديموقراطية أو لإرساء الديموقراطية يناسب كل المجتمعات. والواقع هو أن كل مجتمع من المجتمعات يقرر هل يبدأ ومتى يبدأ في إرساء الديموقراطية، وفي جميع مراحل تلك العملية يحدد كل مجتمع طبيعتها وتوقيت تنفيذها متباطئاً أم مسرعاً حسب الظروف التي تحيط بالأوضاع السياسية والاجتماعية.

إذا كانت الديموقراطية هي أفضل طريقة يمكن الإعتماد عليها لإضفاء الشرعية على الحكم على الصعيد الوطني وتحصينة، فهي أيضاً أفضل طريقة يمكن الإعتماد عليها لإضفاء الشرعية على التنظيم الدولي وتحصينه عن طريق زيادة المشاركة، وأكثر كفاءة عن طريق إفساح المجال لتقاسم الأعباء، وأكثر فاعلية عن طريق إفساح المجال للقوى المميزة بإبراز إبداعاتها.

إن الديموقراطية على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية تستند إلى تعزيز كرامة وقيمة الفرد الإنساني

وتحقيق المساواة الأساسية بين الأشخاص وجميع الشعوب.

إن الديموقراطية لا تضع مصالح الفرد فوق مصالح المجتمع، وإنما يمكن عن طريقها التوفيق بين الحقوق الفردية والحقوق الجماعية وبين حقوق الأشخاص وحقوق الشعوب، وبها يمكن خلق توازنات مختلفة وكثيرة بين حقوق الأفراد وحقوق المجتمع داخل سياق السياسات الديموقراطية. فالعمليات الديموقراطية هي أفضل ما يمكن الركون إليه من الوسائل لضمان أن تعكس تلك التوازنات بصدق الثقافة الأوسع للشعب، تلك الثقافة التي يجب أن تكون في كل مجتمع بمثابة الحافظة لتوازنه كي يتسنى للديموقراطية أداء وظيفتها على الوجه الصحيح.

ولا بد من حقيقة ثابتة، هي أن إرساء الديموقراطية يجب أن يحظى بدعم شعبي إذا أريد له أن يترسّخ في مجتمع ما.

ويتعين السعي إلى إرساء الديموقراطية إلى إقامة توازن بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني.

كما أن إرساء الديموقراطية يستلزم اتباع نهج شامل لا يقتصر على أمر إجراء إنتخابات حرّة ونزيهة بل يتعدى ذلك أيضاً لبناء ثقافة سياسية قائمة على الديموقراطية وتطوير وصيانة مؤسسات تدعم الممارسة الجارية للسياسات الديموقراطية.

إن القوة الفريدة لعملية إرساء الديموقراطية تكمن في

منطقها الذي ينبع من الإنسان الفرد باعتباره الكيان غير القابل للإختزال في الشؤون الداخلية وفي الميادين العالمية والمصدرَ المنطقي لحقوق الإنسان.

وفي الوقت الذي سيتوقف فيه إزدهار الديموقراطية على الإلتزام الفردي، فإن إرساء الديموقراطية سيعزز الشروط اللازمة لإزدهار الفرد.

ووراء كل هذه العقبات هل تلوح آفاق مستقبل مشرق؟

الحذاء الذهبي... برسم أوباما أيضاً؟!

الإعلامي العراقي منتظر الزيدي. . . دخل التاريخ من الباب الواسع. . . أما حذاؤه فقد أصبح رمز الاعتراض على سياسة الرئيس الأميركي جورج دابليو بوش. . .

والشيء اللافت. . تظاهرة الأحذية أمام البيت الأبيض. ملايين الدولارات تدفع من قبل رجال أعمال عرب للحصول على هذا الحذاء. . . غير أن السلطات العراقية أدركت ما آل إليه حذاء الزيدي فذكرت بأنها أتلفته حتى لا تدخل في جدل مع الذين طالبوا فيه بأثمان خيالية.

وكذلك تظاهرة أحذية أمام السفارة الأميركية في لندن. . . ثم تعليق أحذية أمام مركز تجنيد لعناصر المارينز خلال تظاهرة في كاليفورنيا.

حذاء الزيدي هو تعبير عربي رافض لسياسة جورج دابليو بوش الذي ظن أنه قهر العراق وأخضع شعبه، وقتل أبناءه وسرق ثرواته بكل متنوعاتها. حذاء الزيدي هو الذي تكلم. . هو الذي تصرّف. .

أبلغ بوش بالحقيقة. . . نعم هذا الحذاء عبّر عن

رفض العراق لكل سياسات الولايات المتحدة في العراق وفي فلسطين وفي أفغانستان..

تكلم الحذاء حيث كان كل العرب ملتزمين الصمت والاستسلام... يا له من حذاء!...

مجلس النواب العراقي... ثار مؤيداً للحذاء. الشعوب العربية تتنفس الصعداء فالحذاء يعبّر عن مدى الحقد والكراهية للولايات المتحدة وللرئيس جورج بوش.

رفضت بغداد اعتقال صاحب الحذاء منتظر الزيدي الذي لم يعد هو صاحبه. إذ أصبح هذا الحذاء التعبير الحي عما يخالج العراقيين وغير العراقيين من أمانٍ قومية.. ومن اندفاع للنضال من أجل إنقاذ العراق والمنطقة من الاحتلال الأميركي ومن الهيمنة الغربية...

الرئيس الأميركي باراك أوباما أين؟ أين هو من حذاء الزيدي، من الحذاء المتوجه دفعاً إلى جورج بوش؟..

وكل أميركي أين هو من هذا الحذاء؟ أو من حادثة رمي جورج بوش بالحذاء؟

الحذاء يعبّر بقوة عن رفض سياسة الولايات المتحدة في العراق... ولكن بوش راحل وأوباما قادم.. فكيف سيكون المشهد؟

إنها حالة تستوجب التوقف عندها... هل يرغب الرئيس أوباما فعلاً بوضع حد للتعسف الأميركي في العراق وغير العراق؟...

هل يتساءل الرئيس أوباما لماذا أميركا في العراق؟... وهل يعمد إلى فتح ملف احتلال العراق والتقارير الكاذبة والمزاعم التي انطلقت واشنطن منها لتدمر بلداً وتقتل شعباً وتسرق ممتلكاته؟..

ولماذا؟ إنه سؤال للإجابة عن التساؤل لماذا يكرهون الولايات المتحدة في العالم؟ ولماذا نحن العرب نكره أميركا؟

في جواب عفوي وعابر: إننا لا نرفض شعب الولايات المتحدة، إننا نرفض سياسة الولايات المتحدة ولماذا؟

لأنها تتجنى علينا، وتعمم أكاذيبها على الشعب لتبرر انحيازها لصالح إسرائيل باستمرار...

أسلحة الدمار الشامل في العراق والتي كانت المبرر لاحتلال هذا البلد..؟؟ أين هي؟؟

الجيش العراقي الذي تم تسريحه هكذا وبدون مبرر... ولماذا؟ لأن إسرائيل رغبت بذلك..

استباحة حياة العراقيين... واستباحة ثروات العراق من نفط إلى آثار إلى اقتصاد... إنها جرائم العصر... حتى المناهج التعليمية حاول برايمر الحاكم العسكري والإداري للعراق أن يستبدلها بمناهج وضعت في واشنطن.

يقولون إن العراق بلد معروض على مشرحتهم وبإمكانهم أن يعيدوا تشكيله كما يشاؤون وبالطريقة التي يختارونها وبالفعل هذا ما فعلوه... أو حاولوا فعله.

ولكن رفض الشعب العراقي قد خيَّب ظنونهم وأسقط مخططاتهم وتمكّن من تشتيت أسوأ إدارة أميركية اتسمت بالعصبية والغطرسة... ثم عندما أدركها الفشل بادر كل من أفرادها إلى اتهام الآخرين في تلك الإدارة بالأخطاء التي ارتكبت بالفعل والتي لم يعد يجدي معها سوى حذاء الزيدي...

حذاء الزيدي... عبّر عن حالة تكمن في أعماق ضمائر الشعوب العربية... وكأنها تريد أن تعترض... أن ترفض... أن تقول إننا في عالمنا العربي في منتصف الطريق. حروب من أجل الاستيلاء على ثرواتنا... ومن أجل ترويض عقولنا واستبدال ثقافتنا... وسلام لم يكتمل. ومخيمات ومستعمرات.

أين هو الرئيس الأميركي باراك أوباما؟...

والحذاء الذهبي يؤكد أن الشرق الأوسط هو نادراً ما تلتئم فيه الجراح وتُنسى فيه المظالم وأن الوقت فيه ليس صديقاً للسلام...!؟

هل بالفعل يريد أوباما أن يحل مشاكل المنطقة وعلى أسس عادلة وثابتة؟... إنه إذا قرر البحث الجدي عن ضوء في نهاية النفق سيعثر عليه حتماً، لأن من يقصد نهاية النفق حقاً سيجد الضوء في انتظاره.

حذاء الزيدي هو حذاء كل عراقي وكل عربي يعيش مرحلة الاندفاع والحماسة كشلالات هادرة ويعيش الأحلام

كسحب طائرة... والسماء هي الحدود، هذا إذا كانت هناك حدود. حذاء الزيدي هو موضوع العربي على القمم وعند السفوح، هو التعبير عن غضب الإنسان العربي بكل مواريثه وبكل نزعاته وطموحاته... وبكل غرائزه.

الحذاء.. بدا وكأنه رصاصة انطلقت من بغداد واستقرت في كل عاصمة عربية... انطلقت من العراق لتوقظ الضمائر في شتى أنحاء العالم.

الصراع أو المواجهة بين جورج بوش وحذاء الزيدي هو حقيقة واضحة كالشمس ووضوحها لا يلغي صوابيتها.

ولكن في منتهى الصراحة، إن المفكرين العرب والمثقفين العرب وفي مقدمتهم المناضلين العرب، هم الذين يمتلكون ذاكرة مثقلة بالوقائع السلبية عن العلاقة مع الغرب... وهم الذين يلمسون كل يوم شواهد جديدة على استمرار النظرة الجافة إزاء العرب.. وصيغة التعامل معهم.

لا يمكن أن يستمروا في خداع أنفسهم وشعوبهم تحت وهم أن الغرب يمكن أن يكتشف الحقيقة ذات يوم... ولا بد له من أن يعدّل موقفه من قضايا العرب ونظرته إليهم بعد ذلك وتحديداً بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي.

إن تطبيق الديموقراطية في العالم وبالذات في منطقة الشرق الأوسط هو حكاية كاذبة لا تعبر عن واقع

فعلي. . . لقد زعزعت الدعوة الأميركية إلى نشر الديموقراطية حلفاءها في الوقت الذي عجزت فيه عن إرضاء أعدائها. . .

إن ما قام به الرئيس الأميركي السابق جورج دابليو بوش وإدارته المتصهينة ما فتئ حتى الساعة يُلهب جذوة التطرف الجهادي.

إنه استحق بالفعل الضرب بالحذاء وفي بغداد تحديداً. . .

إن العالم العربي مع الأسف الشديد إذا ما بقي في صيغة كيانات مجردة من وجود المؤسسات سيبقى العرب في دوامة الهزائم.

إننا بلا شك بحاجة في العالم العربي إلى اتباع سياسة واقعية نتصدى من خلالها للمهمات الحقيقية التي تواجهنا في هذا العصر المرتبك والغامض.

إننا بحاجة إلى فكر عقلاني يحدد لنا مهماتنا وأولوياتنا في مواجهة السياسة الأميركية والهيمنة والعدوان والقهر المتمثلة كلها بالسياسات التي كانت تصدر عن الإدارة الأميركية وبالذات من البيت الأبيض الذي كان يعزو تلك السياسات إلى ترهات دينية غير مثبتة. . . إنه بوش الابن الذي استحق الضرب بالحذاء.

وكم سعى العالم لتحذير أميركا من مغبة سياساتها ولكن دون فائدة!. . .

ومما لا جدال فيه أن المسيحيين المتهصينين هم الذين دفعوا ببوش الابن إلى البيت الأبيض لتحقيق نزعاتهم الصليبية التي تحملها وتبشر لها أيديولوجية المحافظين الجدد.

والشيء الواضح أن إدارة بوش أعادت الولايات المتحدة إلى الوراء وأساءت إلى سمعة البلاد وأسقطت من يدها أوراق كثيرة. كما زعزعت الثقة بصورة أميركا وصدقيتها في العالم. والواضح أن الحذاء ما كان ليكون لو لم تؤكد الولايات المتحدة أنها لا تريد السلام في المنطقة وترفض الاعتراف بالحقائق والحقوق والوقائع كما هي وترفض دراسة التاريخ للتعلّم من دروسه وعبره وتجارب الآخرين.

.. الحذاء على مرأى من أوباما الرئيس الجديد.

وكأن صاحب الحذاء منتظر الزيدي أراد أن يقدم لأوباما خيارات بين الضرب بالورد إن أحسن السير بطريق العدالة والحق، والضرب بالحذاء وكل مشتقاته الغاضبة والقاتلة إن هو تجاهل السير بتلك الطريق.

العرب... صدقني يا حضرة الرئيس، كل العرب يريدونك أن تقيم وزناً للحقائق التاريخية وأن تعير اهتماماً للحقوق العربية.

وأظن يا حضرة الرئيس، أنك مثلنا تدرك مدى الحرج

الذي يتقلب فيه حلفاؤكم في العالم العربي... ولا يدرون ماذا يفعلون؟

وأظن أنهم يخشون سياستكم ويخافون من مغبتها أكثر بكثير مما يخافون خصومهم وأعداءهم الألداء...

ونحن لا نعفي العرب من مسؤولياتهم فهم غائبون غياباً تاماً عن حركة الفكر العالمي وغير مؤثرين فيها أو مضيفين إليها أو حتى مطلعين عليها الاطلاع الكافي.

فهل يكون هذا الحذاء... الحذاء الذهبي... حذاء مناضل يدق جرس الخطر فيلبي النداء العرب في كل بلدانهم حتى بالفعل يستحقون الحياة...؟؟

من مواطن عربي إلى
جورج بوش الإبن!...

السيد الرئيس،

الخيال ملتهب... والفكر قلق...

النفوس منطوية على هذا الخيال... والأجساد مندمجة بهذا الفكر. أتسلل إلى ذاتي وأقلب صفحات ذاكرتي...

التسجيلات: قتل وتدمير وإغتيال.

السيد الرئيس،

ذكريات... أي ذكريات التي تكاد تكون أحلاماً بصورة اليقظة...

نحن بالمناسبة لا نحصي موتانا إذ إن الأعداد تتغير على مدار الساعة... نحن نتفرج على السلطة التي تحرص على إحصاء الملتزمين بها...

نحن لا يحق لنا أن نفكر... لأن حكامنا يملكون أدوات لمطاردة عقولنا... نحن بالكاد تمكنا من أخذ فسحة للتنفس، لأنهم أي الحكام قد حصلوا على آلات لإحصاء الأنفاس والحد من حراكها.

السيد الرئيس،

الرياح العاتية تعصف داخل ذاتنا الإنسانية... نسأل لماذا؟ نحن على لائحة الإرهاب... طفلنا إرهابي، زوجاتنا إمهاتنا... الكهول إرهابيون... لذلك يستحقون القتل!!؟

غرفنا الضيقة يجب معاقبتها لإيوائها الإرهاب... وهي تدمَّر على رؤوس الصغار والنساء!؟.

نتطلع إلى تخوم الدنيا... نشاهد الظلام الحالك... ولا نرى ولو إصبعاً من نور.

أيها الرئيس،

في الشتاء البارد... علينا أن نتدفأ على دموع ولهات اللواتي فقدن فلذات أكبادهن... لكنهن تعبن من البكاء أو بتن إلى الصمت والعناد أقرب...

السيد الرئيس،

أنت من يصنع الحروب بفرح... ويعطي الضوء الأخضر لقتل الأطفال بسرور وتزعم أنك متدين... وأحياناً تتحدث إلى الله عز شأنه من خلال هاتفك الخاص...

السيد الرئيس،

اتركنا نبحث عن صمت لينام أطفالنا... طائراتك تغتال ليلنا... صواريخك تمزق نعاسنا...

السيد الرئيس،

إنك مخلوق عجيب غريب، مبادؤك حروب ودمار... عقيدتك كذب وإدعاء... ولا رعشة ضمير في أعماقك لأن يقظة الأطفال في قبورهم لم تحرك مشاعرك الجامدة الخبيثة.

السيد الرئيس، إنك المقصلة التي تجتث الأبرياء في طمأنينتهم المريحة.

السيد الرئيس، أين أنت؟ لقد خسرت سبيلك إلى الأبد... واعلم أن الإفراط في استخدام القوة هو دليل إجرام.

السيد الرئيس، إنك من أنصار الموت وتتجنت المحبة لأنك تدرك أن المحبة لا تسقط... المحبة أقوى من الموت.

السيد الرئيس، إعلم أن نظامك السائد في بلادك الولايات المتحدة يتحدى أسس وقواعد العدل الذي هو جوهر كل الديانات.

أيها الرئيس: يظهر كما يبدو من كلامك أنك مهووس بالديموقراطية، لكن وأنت لست مغفلاً: لا يمكن أن تجعل الشعب يبلغ الديموقراطية والحرية تحت حراب سلاحك المحتل... والتفكير عكس ذلك أيها الرئيس هو الجنون بعينه.

وهل تعتقد أيها السيد الرئيس أنه بإمكانك أن تصدّر

وجبات من البرغر أو من الماكدونالدز وتقول بأنها هي الديموقراطية؟.

هل تدرك أيها الرئيس وأنت تصنّف نفسك من المؤمنين، أن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا أحراراً ولم يخلقنا عقاراً أو سلعاً يمكن أن تورث وأنه لا يحق لأحد أن يستعبدنا؟...

السيد الرئيس: لا يحق لك وفي أي موقع كنت أن تستغل مطلب الديموقراطية ومشروعية الحرية في تبرير المواقف السياسية...

واعلم أيها السيد الرئيس أن من يزعم بأنه يدافع عن الحرية والعدالة في الخارج يتعيّن عليه احترام هذه القيم في وطنه وخارج وطنه لا أن يتاجر بها لتمرير مصالح سياسية وأحياناً اقتصادية!!!

السيد الرئيس حكايتك معنا نحن الشعوب المستضعفة، كواقعة الحية ذات الرؤوس المتعددة كلما قضى السيف على واحد منها ظهر آخر في ناحية أخرى أقوى وأشد ليتعاظم ويتسع مداها كلما انتقلت من بلد إلى بلد آخر. وهل تظن يا حضرة الرئيس أننا ما زلنا سذّجاً وما زلنا صغار السن في مواجهة سياسيين دهاة في مجال اللعب بالعالم والأمم والدول وهم منتفخين بالطموحات الشخصية؟!... كم أنت مخطئ يا حضرة الرئيس.

نعم بإمكانك أن تفهمنا جيداً إذا شئت... وبإمكانك

أن تتغاضى عن ذلك وتبقى في عنادك... نحن نعتز بزيارة أضرحة شهدائنا... وأنت كلما زرتنا كلما كثر غيظك، نحن اعتدنا على حفر القبور وبتنا نفعلها باستمرار وأنت تراقب ذلك وتزداد حقداً علينا...

نحن بتنا نأنس لمسيرات التشييع والتأبين... وأنت تتساءل أي صنف نحن؟

السيد الرئيس: نحن اندمجنا في أهدافنا حتى باتت بالنسبة إلينا أغلى من وجودنا... تهدد بالطائرات والصواريخ والقنابل ونحن لا نخشاها، نفلش نعاسنا على راحتنا... وننام لنحلم بالشهادة... ونلوّن أجسادنا حتى تغار الطبيعة منا ويحسدنا بنو البشر...

السيد الرئيس، أنت... لست نحن، وهذا مثار عزتنا ونحن لسنا أنت وهذا فخرنا... لست منا ونحن لسنا منك، رائحتك بارود ونار ونحن من اندمجنا بأهدافنا حتى النصر أو الإستشهاد!...

أنت اندمجت في مساعيك: تخريب وتدمير وقتل مشاعر وفرض وقائع، ونحن نضخ الطيب... ثيابك من جلد أناس كانوا أطفالاً لم يناموا طفولتهم جيداً لأنك أيقظتهم بصواريخك وطائراتك، واليوم أنت أيها الرئيس توقظ قبورهم في لبنان، في العراق وفي فلسطين وفي بلدان أخرى.

إنك مخلوق غريب عجيب لم يسبق لك مثيل. فأنت

يا حضرة الرئيس مكون من أشلاء لا يربط بينها رابط ولا يجمع بينها جامع من محبة أو صدق أو إنسانية. أنت ترفض المبادئ الصحيحة لأنك تؤمن فقط بمبادئ الشر والكذب والقتل.

حضرة الرئيس... ننظر إليك نجدك ترهب حتى العار ولكنك لا تُرهب الموت... قصدت أن تكون حارس الظلم والظلمات.

واعلم أيها الرئيس إنه ليس بالإرهاب تتغلب الدول على الإرهاب بل بسياسة حضارية تجمع إلى السياسة الاقتصاد والإجتماع والمشاركة في التنمية ومقاومة تصحر الإنسان المغلوب على أمره.

(مقالة نشرت في جريدة النهار اللبنانية)

سياسة أوباما الشرق أوسطية رهن بالموقف العربي

لا نستطيع إلا الإقرار بأن إنتخاب باراك أوباما رئيساً للولايات المتحدة الأميركية يمثل إشعاعاً قوياً للحياة الديموقراطية وأيضاً للممارسة الديموقراطية في بلدٍ كان لفترة غير بعيدة موئلاً للتصادم العرقي وميداناً لنشؤ حركات نضالية مميزة ضد سياسة الفصل العنصري، كما كان مسرحاً لحروب أهلية مديدة ولحركات إنفصالية على أساس اللون والعرق والأثنية. . .

معظم بلدان العالم رحبت وأيدت إنتخاب أوباما ذي الأصول الأفريقية رئيساً للولايات المتحدة الأميركية. فهل سينجح أوباما بإحراز تحولات في السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة تكون بحجم الأمل الذي ينتظره الشعب الأميركي والرأي العام العالمي منه وهو الذي خاض معركته الإنتخابية تحت شعار التغيير؟! أم أن الرئيس لا يجوز أن نحمّله فوق طاقته، إذ إن شعارات الحملة الإنتخابية قد لا تجد ترجمتها العملية في سياق مجريات شؤون الحكم وإدارة البلاد؟. . .

إن الأسئلة الصعبة يجب ألا تكون مشكلة طالما أننا

لا نعطي الإجابة بما يتوافق مع ما يرضي السائل أو ما يريد سماعه.

فهل ستختلف مواقف وقناعات أوباما الرئيس عن مواقف وقناعات أوباما المرشح أو أوباما المحاضر في جامعة شيكاغو؟...

لا يجوز لنا أن نغرق في التفاؤل، فالأمور قد تختلف جزئياً أو كلياً، فالآتي لناظره قريب. وما يجب الإقرار به، أن تاريخ الأمم هو جزء من تاريخ الرجال.

في اعتقادي إن معركة أوباما على صعيد النزاعات العرقية لم تحسم أو بالأحرى لم تنته بعد. فقد تثار في وجه أوباما من حين إلى آخر مسألة أصوله الإفريقية ليس من باب التعصب العرقي وإنما بالدرجة الأولى من أجل إستهداف دوره كرئيس بهدف تحجيمه وإضعافه أو ابتزازه.

لقد رفع أوباما شعار الحوار في كل مكان... فهل يستطيع تحقيقه.؟ أم أنه سيجد في الممارسة العملية بأن ما التزم به ودعا إليه ليس بمقدوره الإلتزام بتنفيذه؟

وما تجدر الإشارة إليه إستدراكاً، هو أن التقاطع مع طرف من الأطراف في موقف سياسي معين ليس بالضرورة أن يتأتى من تطابق في وجهة النظر معه وإنما قد يتأتى من تفهم الدواعي والدوافع التي استوجبت موقفه وإن اختلفت وجهة النظر معه.

فالسياسة حسب اعتقادي هي إسهام في حوار أو هي صدى لازمة ما أو هي الإنخراط في تحليل لظاهرة محددة أو هي إنفعال في حدث.

والسياسي الذي يرغب بالحوار وينشده عليه أن يدرك قبل كل شيء تركيبة الصور وقد اجتمعت فيها الجزئيات والتفاصيل. والسياسي المسؤول عليه أن يكوّن مبادئ سياسية تشكل خريطة طريق لسلوكه اليومي كما عليه التحسب بأن المفاجأت في السياسة هي إستثناء وليست قاعدة.

إن الرجال الكبار في التاريخ هم الذين استطاعوا أن يحولوا تصوراتهم السياسية إلى حقائق... والجدير ذكره هو أن تصوراتنا السياسية لا تأتي إلينا من المجرد وإنما نكتسبها من دراسة تجارب التاريخ.

هناك رجال في التاريخ احتلوا مناصب ومواقع ولكننا نكاد لا نسمع بأسمائهم لأنهم فشلوا في فهم أوضاع بلادهم وأحاسيس شعبهم أو أن المباخر والتبجيلات قد أعمت أبصارهم وجمدت قلوبهم فتاهوا أو غرقوا في بحر الظلمات...

فأي نوع من هؤلاء الرجال يمكن أن يكون باراك أوباما...؟

وحسب اعتقادي، بقدر ما يكون القائد أهلاً للقيادة بقدر ما تصيب نبؤته ويصدق حدسه. وأن النصر أو

الهزيمة هي محطات تحتم على القائد ضرورة الإستفادة من دروسهما. فكثيرون هم في التاريخ الذين عرفوا كيف ينهزموا وكيف يحولون هزيمتهم إلى إنتصار. وكثيرون غيرهم انتصروا وحولوا إنتصاراتهم إلى هزائم.

إن أبشع تهمة رافقت السياسة الأميركية هي انحيازها الأعمى لإسرائيل والرئيس أوباما لم يتوان حتى الآن من الترداد أن أميركا ملتزمة بأمن إسرائيل...

يجب أن لا يغيب عن البال بأن أكثر العصور بحثاً عن السلام هي أكثرها تعرضاً للقلق، لأن السلام يجب أن لا يكون هدفاً بذاته ولكنه يجب أن يأتي كنتيجة طبيعية لقيام نظام دولي مستقر.

السلام؟... ما هو هذا السلام؟...

السلام في الواقع يجب أن يستند إلى مبادئ الإقرار بالحق والعدل وإذا لم يكن كذلك فهو مشروع مواجهة مستمرة أو مشروع حرب قادمة..

ويصح في هذا المجال قول أحد القادة العسكريين أثناء التفاوض لإيجاد حلول لمشكلة معينة إذ قال: أنا هنا لأصل إلى حل أطمئن إلى عدالته وإذا لم يتحقق ذلك سوف أخرج من هنا لأبحث عن العدل بوسيلة أخرى في مكان آخر...

من هنا وبرسم الرئيس الأميركي الجديد، فإن الحركة الواعية والمستنيرة إزاء الواقع وإزاء التاريخ تفرض عليه

السير بمنهج آخر في إدارة علاقات العالم مع الولايات المتحدة الأميركية، علاقات غير قائمة على قدرية الإستسلام المطلق لأميركا باسم الواقعية أو الرفض المطلق لها باسم التاريخ...

وفي اعتقادي أن الرئيس الأميركي الجديد عليه أن يغير قواعد تعامل مسؤولي واشنطن مع الأراء والإجتهادات.

وإذا كان ليس بمقدورنا أن نطبّق ما نرتضيه من الأمور على أنفسنا فكيف نستطيع أن نفرضه على الآخرين؟

وأما تجاهل حقوق الآخرين فهي ذروة المأساة الإنسانية وهي الجريمة الكبرى بحق الآخرين..

على الرئيس أوباما أن يدرك بأن العنف قد يصبح الوسيلة الوحيدة للصراع عندما تعجز جماعة ما أو شعب ما عن إستعادة حقوقه المغتصبة بالوسائل السلمية.!!

من البديهي هنا أن نستعيد التاريخ حيث نجد أن الديموقراطية بكل أبعادها لم تحمل الحلول في القرون السابقة لا في البلدان الغربية ولا في الولايات المتحدة الأميركية نفسها...

فهل ننسى حروب الإستقلال؟ هل ننسى حروب القضاء على الهنود الحمر؟. وكيف ننسى العبودية والحرب

الأهلية ورفض حق التصويت للسود في الولايات المتحدة الأميركية؟.

الرئيس أوباما اليوم أمام معضلة قديمة جديدة الأمن - السلام - الأراضي المحتلة.. حقوق الشعب الفلسطيني...

إننا إزاء معادلة يتصارع فيها من يعمل لشراء الأمن بأي ثمن من جهة ومن يناضلون من أجل السلم بأي ثمن من جهة أخرى. إن هذه المشكلة ليست مستعصية أو مستحيله إذا جرت مقاربتها من خلفية مبادئ حقوق الإنسان وحق تقرير المصير للشعوب وإذا ما أزيل عنها ما علق بها من أوهام.

علينا أن نستبعد التعقيد وأن نسعى إلى تبسيط الأمور بقدر ما أمكن وبكل الوسائل المتاحة لدينا. والذي يريد أن يحل مشكلة ما، عليه في البداية تجنُب أن يكون هو جزءاً من هذه المشكلة لكي يستطيع أن يكون قادراً بالقول وبالفعل جزءاً من الحل...

ماذا يواجه الرئيس أوباما؟ إنه أمام معادلة ثنائية الأبعاد وبالذات في الشرق الأوسط، حيث في الواقع أن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن إسرائيل وبشكل استراتيجي، وهي أيضاً مهتمة بتأمين النفط و"موارد" النفط وكميات النفط لصالحها ولمصلحتها...

بين الإلتزام بأمن إسرائيل والسعي للهيمنة على الطاقة هل يواجه الرئيس المنتخب شيئاً من التناقض؟. . .

الثابت أن النظام العربي يمر في مرحلة خواء وضعف وعجز غير مسبوق، والواقع العربي والإسلامي يطلق العنان للغرائز لإستلهام رواسب تاريخية لا تخدم في مسار إنفعالاتها سوى إسرائيل. فهي تعطي الذرائع للكيان الصهيوني لوسم العرب والمسلمين بالإرهاب كما تعطيها الفرصة لزرع سموم الفتنة والتفرقة وتخوين الأفرقاء العرب والمسلمين لبعضهم البعض.

إن الواقع العربي هو بمثابة ورقة نعي للدور العربي أو إستقالته من تاريخه ودوره وقدرته على التوحد والمواجهة والتحديد الصحيح لإتجاه البوصلة، وهذا في حد ذاته يشكل إهانة لكل أبناء هذه الأمة التي وإن كانت تمر في مرحلة عصيبة اليوم إلا أنها يجب أن لا تعدم وسيلة من أجل إعادة استعراض حضورها الفاعل الإقليمي والدولي. . .

إن سعي العرب في زمننا الحاضر يجب أن يتركز على وجوب الإنفتاح على التنوير والإنفلات من العتمة. . .

إن الرئيس بارك أوباما سيتصرف كما تقتضي مصلحة بلاده. . . ويبقى على العرب أن يجعلوه يتحسس بأن هذه المصلحة يستحيل أن تتحقق في منطقتنا وهو على إنحياز

أعمى إلى جانب إسرائيل وعلى حساب المصالح العربية.

لماذا اتسمت النظرة الأميركية إلى إسرائيل من زوايا الأمن والاقتصاد والسياسة؟. والنظرة إلى الفلسطينيين من وجهة نظر حقوق إنسانية فقط..؟؟

إن ذلك حصل ويحصل نتيجة استقالة النظام العربي من دوره الحقيقي في حراسة المصالح العربية وتخليّه عن مهمة الدفاع عن الحقوق العربية...

على العرب أن يلزموا الرئيس باراك أوباما وهو مؤتمن على مصالح بلاده أن يعتدل في مواقفه وتصرفاته لا أن يستجدوا منه الحقوق الإنسانية.

المؤلف

ـ ولد في قرية علي النهري قضاء زحلة 1923.

ـ تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة القرية، ثم انتقل إلى الكلية الشرقية في زحلة حيث أكمل علومه الثانوية.

ـ يحمل إجازة في علم الاجتماع.

ـ تزوج من السيدة سهام كنعان ولهما أربعة أولاد: نزار، علي، زياد ورولا.

ـ مارس مهنة التعليم في أقضية البقاع وبيروت.

ـ انتقل إلى مهنة الصحافة حيث عمل في أكثر من صحيفة يومية، ومجلة أسبوعية، وانتسب إلى نقابة المحررين حيث لا يزال عضواً فيها حتى الآن.

ـ انتسب إلى الحزب التقدمي الاشتراكي سنة 1951، وتبوأ فيه مراكز مختلفة وعمل نائباً لرئيس الحزب لسنوات عديدة.

ـ شارك في وفود حزبية إلى معظم دول العالم الثالث، أوروبا، الدول الاشتراكية والعربية، حيث التقى معظم رؤساء وملوك العالم العربي.

- عيّن مستشاراً لوزير الداخلية إبان تولي المرحوم كمال جنبلاط لمهام الوزارة المذكورة.
- عيّن نائباً عن قضاء بعلبك والهرمل سنة 1991.
- انتخب نائباً عن قضاء زحلة سنة 1992.
- انتخب نائباً عن محافظة البقاع سنة 1996.
- انتخب نائباً عن قضاء زحلة سنة 2000.
- عيّن وزيراً للزراعة في حكومة الرئيس سليم الحص من 25/ 11/ 1989 لغاية 24/ 12/ 1990.
- أعيد تعيينه وزيراً للزراعة في حكومة الرئيس عمر كرامي من 24/ 12/ 1990 لغاية 16/ 5/ 1992.
- أعيد تعيينه وزيراً للزراعة في حكومة الرئيس رشيد الصلح من 16/ 5/ 1992 لغاية 13/ 10/ 1992.
- عيّن وزيراً للدفاع في حكومة الرئيس رفيق الحريري الأولى من 13/ 10/ 1992 لغاية 25/ 5/ 1995.
- أعيد تعيينه وزيراً للدفاع في حكومة الرئيس رفيق الحريري الثانية من 7/ 1// 1996.
- أعيد تعيينه وزيراً للدفاع في حكومة الرئيس رفيق الحريري الثالثة من 7/ 11/ 1996 لغاية أواخر تشرين الثاني 1998.
- كلف بملفات عدة بالغة الأهمية:

أ ـ الحوار مع العماد ميشال عون حول اتفاق الطائف وإنهاء التمرد وانضمامه إلى الشرعية.

ب ـ الحوار مع الأحزاب والميليشيات اللبنانية حول (جمع السلاح، إخراج الميليشيات من بيروت وحلّها).

ج ـ الحوار مع المنظمات الفلسطينية.

- شارك في مؤتمرات عربية ودولية عدة حول لبنان.
- شارك في معظم الوفود الرسمية اللبنانية إلى العالم العربي وأوروبا.

مؤلفاته السابقة:

السياسة والحكم، رياض الريّس للكتب والنشر، 2006.

حوارات ساخنة، من كمال جنبلاط إلى رفيق الحريري، رياض الريّس للكتب والنشر، 2006.

لبنان إلى أين؟ رياض الريّس للكتب والنشر، 2007.

عهد لحود تحت المحاكمة، من الدولة المدنية إلى السلطة الأمنية، رياض الريّس للكتب والنشر، 2008.